التّشْكيلُ الّلِسَانِيُّ لعقل المتلقي: دراسة لسانية بينيّة في قواعد تشكيل القناعات

*عماد أحمد الزبن**

ملخص

حاولتُ في هذه الدراسة البينيّة أنْ أقف على أنظمة اللغة المؤثّرة في عمليّة التشكيل العقليّ للمتلقي، إنّها محاولة لعلاج كشفيّ تتّصل بمقولة "الكيف" الإجرائيّ في حركة اللغة المؤثّرة في واقعي الإنسان: الذهنيّ والمتأصّل. وبآمر هذه الرؤية قسّمت الدراسة إلى حقلين مركزيين: حقل الكشف الشّارح، وحقل الكشف الإجرائيّ. وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها كشفاً مستأنفاً عن طاقات اللغة في علاقتها مع الإنسان محلّ تلك اللغة: إنشاءً واستجابة. وقد أظهرت الدراسة في عللها الغائيّة أنّ استراتيجيّة التشكيل تتعامل مع اللغة ليس بكونها مجرّد أصوات أو علامات، إنّها طاقة محرّكة، ومُكنة لتشكيل العقول، ومعرّف إجرائيّ لحركات النّفس، إنّها آلة تنجيزيّة لنظام التفكير الإنسانيّ، فمن مقتضى تفهُّم الإنسانِ إدراكُ أنظمة هذه اللغة في تشكيل أفكاره، لأنّها تمثّل مقولة مركزيّة تحقّق ماهيّته.

الكلمات الدالة: التّشكيل اللسانيّ، الكيان اللسانيّ الموازيّ، حركة النّفس، التّصديقات اللسانيّة، الافتراضات اللسانيّة المسبقة.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم الإنسان، والصلاة والسلام على نبيّنا خاتم الرسل العظام، وبعد،

فقد حاولتُ في هذه الدراسة البينيّة أنْ أقف على أنظمة اللغة المؤثّرة في عمليّة التشكيل العقليّ للمتلقي، وأكشف عن طاقة التصديقات اللسانيّة في صياغة الأفكار، وتوجيه عملية التفكير الإنسانيّ. إنّها محاولة لعلاج كشفيّ تتّصل بمقولة "الكيف" الإجرائيّ في حركة اللغة المؤثّرة في واقعي الإنسان: الذهني والمتأصّل. وبآمر هذه الرؤية قسّمت الدراسة إلى حقلين مركزيين: حقل الكشف الشّارح. وهو المنطلق التصوّري لاستراتيجيّة التّشكيل اللسانيّ. وحقل الكشف الإجرائيّ. وهو التبصّر في القوانين اللغوية الناظمة لعمليّة التّشكيل.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها كشفاً مستأنفاً عن طاقات اللغة في علاقتها مع الإنسان الذي هو محلّ لها: إنشاءً واستجابة. فهي تجهَد في تقرير القوى اللغوية، والمُكنة اللسانيّة في بعديها الحضوريّ والموازي، في حقول تشكيل التفكير الإنسانيّ، وتوجيه قناعاته. وهذا مُتّجه وصفيّ بينيّ تَشرعه مقولات اللسانيات الموسّعة، بهدف تبيُّن أنظمة اللغة المحرّكة في بعدها الوظيفيّ. وقد أظهرت الدراسة أنّ استراتيجيّة التشكيل تتعامل مع اللغة ليس بكونها مجرّد أصوات أو نقوش أو علامات، إنّها طاقة محرّكة، ومُكنة لتشكيل العقول، ومعرّف إجرائيّ لحركات النّفس، وأداة للسيطرة. إنّها آلة تنجيزيّة لنظام التفكير الإنسانيّ، فمن مقتضى تفهُّم الإنسانِ إدراكُ أنظمة هذه اللغة في تشكيل أفكاره، لأنّها تمثّل مقولة مركزيّة تحقّق ماهيّته.

ولتنجيز هذه الرؤية المعرفيّة، اجتهدت في تحقيق شرطها المنهجيّ و"الإبستمولوجيّ"؛ فأنشأتها بما يقتضيه المنهج الكشفيّ من المنحى التجريبيّ الإجرائيّ والمنحى التنظيريّ، وتعدّدت مصادرها بتعدّد مسارب التبصّر فيها، وبآمر متّجهها البينيّ، فجاءت بين كتب لغوية، وكتب في علم النّفس والسلوك، وكتب في الأقوال الشّارحة، وكتب في أصول الفقه. وحرَصت على جمع المادّة من مظانّها المناسبة، ودراستها وتحليلها بالأدوات العلميّة وفِاقاً لشرطها المنهجيّ؛ بغية تقرير نتائج علميّة منتمية، أرجو أن تكون صالحة للانتظام في الجهود المُنجزة في اللسانيات النفسية.

تصوير التّشكيل اللسانيّ

تفرض طبيعة التّواصل الإنسانيّ الشراكة الإنسانيّة بين الأفراد من أجل تحقيق الأغراض، وهذه الشراكة تتبني على رغبة الأفراد فيها، لذلك فنحن نحتاج إلى إدارة تواصليّة تضمن لنا مُكنة التأثير في الآخرين: في آرائهم، وفي قراراتهم، وفي مواقفهم؛ من أجل أن

* قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الإمارات العربيّة المتّحدة. تاريخ استلام البحث 2018/2/23، وتاريخ قبوله 2018/9/12.

 © 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

يكونوا داعمين لنا ولمواقفنا. ولستُ أجدُ أداةً للتّواصل والتأثير تفوق اللغة قدرةً على تشكيل مواقف الآخرين الاعتبارية الاعتقاديّة، أو الفعليّة الإجرائيّة المتأصّلة (ينظر: العدرة، وأبو عرقوب، 2015، ص1348). ولمثل هذا قال *(Buzan)*: " إنّ كلمة أو عبارة بمفردها يمكن أنْ تضاعف من مبيعات سلعة، أو تصلح علاقةً ممزّقةً، أو تكون سبباً في إحياء أمّة أو تخليدِ اسم، أو حتى تغيير مجرى التاريخ" (بوزان، 2007)، لذلك نجَم عندي السؤال عن أنظمة اللغة في تشكيل عقل متلقي اللغة.

وعمليّة التّشكيل اللسانيّ في محصّلها: إجرائيّة لغويّة انتقائيّة تستثمر معطيات داخلية (لغوية ذهنية) وسياقية خارجيّة مقاميّة من أجل ترويض عقل المتلقي، ومن أجل إذعانه لمراد المُشكّل. إنها إجرائيّة إقناعيّة تصل في علّتها الغائيّة إلى الاقتناع، وتشكّل المساحة الذهنيّة للمتلقي للاستجابة الإيجابيّة لمحمولات كلام المرسِل المُشكِّل. يمكن أن أختصرها بأنّها الجَهْد في تشكيل مساحة الاستجابة النفسيّة عند المتلقي لتستحيل محلّاً قابلاً للقصود بوساطة اللغة.

وفي التّصوير لعملية التّشكيل اللسانيّ، أقف عند عملية الإقناع نفسها*(persuasion)*لأنّ الإقناع هو الإجرائيّة اللغويّة التي تمثّل المشخّص الظاهر لعملية التّشكيل اللسانيّ. وتقوم هذه الإجرائيّة على إيراد الحجج بأنواعها لكسب موافقة المتلقي ودعمه ومساندته وتعاطفه مع الآراء والمواقف (Al-Sharafi , 2012). والإجرائيّة الإقناعيّة الناجحة مَصِيرٌ إلى الاقتناع، فالاقتناع هو النتيجة الناجحة لعملية التّشكيل اللسانيّ، ولكنّه يحتاج أيضاً في تأصّله إلى مشخّص كاشفٍ، وأقترح أن يكون "الإذعان" هو الكاشفَ المشخَّصَ عن حصول التّشكيل اللسانيّ، وإذا كان الإذعان حصولاً للإقرار وإسراعاً في الانقياد بناء على نفي التّردّد وجزم الإرادة (السيد الشريف، 1983. والكفوي،1998)، فإنّه يتضمّن فصولاً قابلة للقياس، يمكن بها قياس نسبة نجاح عمليّة التّشكيل اللسانيّ.

وعمليّة التّشكيل اللسانيّ، في إجرائيّتها، تستهدف دائماً العقل اللاواعي أو اللاشعور، وتسعى إلى حجب سلطة العقل الواعي، وهذا يتعلّق بأنواع الحجج التي يسوقها المُشكِّل المرسِل، فالحجج التي تخاطب عاطفته وذوقه، تلك التي يمكن تصنيفها في الإقناعيات والخطابيات، لا تصلح لخطاب عقل واعٍ عنده مُكنة الفرز والتّصنيف، وهنا يأتي دور اللغة لتنفي سلطة العقل الواعي الذي تُمْكِنُه عملية الفرز والموافقة والمخالفة بناء على أسس برهانية منطقية. ونحن نجد أكثر الناس لا تحكمهم العقلية المنطقية الصوريّة الصّارمة التي تمكنّهم من تصنيف الحجج والكلمات ومحمولاتها، بل الكثير من النّاس تقودهم الحجج الخطابيّة والعاطفيّة، ويقودهم العقل غير الواعي من غير شعور بما هم فيه. ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد من يمكنه النّظر في اللغة ومحمولاتها نظراً عقليّاً منطقياً، وهؤلاء كُلفة تشكيلهم اللسانيّ باهظة وعسرة وصعبة، ولكن هؤلاء لا يمثلون ما يمكن تسميته " جمهور التّشكيل اللسانيّ".

فالمشكِّل يختار الكلمات والجمل والنّصوص التي من شأنها أن تضعف التّصوّر القويّ أو التّصديق القويّ، الكلمات التي من شأنها السيطرة على حركة النفس في أثناء عمليّة التفكير، وتوجيه هذه الحركة تلقاء قصودٍ محدّدة، إنّه يختار الشكلَ اللسانيّ الذي من شأنه أن يتحكّم في بناء التّصديقات النّفسيّة في الحركات الذهنيّة للمتلقيّ، إنّه شكل لسانيّ قادر على السيطرة على الانتظام التّصديقيّ لدى المتلقي، وقادر على إضعاف مصادر المدَدِ الواعية لهذه التصديقات النفسيّة، ثم يراقب نتائج هذه السيطرة من خلال الاستجابات اللفظيّة والإدراكيّة والسلوكيّة التي أطلقتُ عليها حالة " الإذعان". فالكلام هنا كما قال *(Ralph Emerson)*: "هو القوّة، والحديث هو أن تُقنع وتَعِظَ وتُروّض" (بوزان، 2007).

ولكن لا بدّ هنا من التفريق بين الأثر السطحيّ والأثر العميق الحقيقيّ لعمليّة التّشكيل اللسانيّ، فهناك كلام يُحدث إذعاناً مؤقتاً غير أصيل عند المتلقي، ولكنّه لا يُحدث تشكيلاً لسانيّاً عميقاً لعقل المتلقي، إنها حالة بناء ظاهريّ غير عميق سرعان ما تنهار مع أول جولة نفسيّة فكريّة، أمّا التّشكيل اللسانيّ الحقيقيّ، فإنّه يصِل إلى البِنى الناظمة لعمليّات التفكير الإنسانيّ، ليضمن سيطرة كاملة عليها، إنّه يهدف إلى حدوث تغيير حقيقيّ في الوعي أو في الإدراك، إنّه يتدخّل في إجرائيّة التفكير، أو يتدخّل في عملية اختيار التصوّرات الذهنية بفرضها من خلال اللغة الحاكمة على الذهن، وبذلك هو يتدخّل تدخّلاً مركزيّاً في بناء التّصديقات الذهنيّة التي تشكّل القناعاتِ ووعيَ المتلقي. وبهذه الأطروحة نستنتج أنّ التّشكيل اللسانيّ يتعامل مع التصوّرات والتّصديقات الكامنة بالقوّة في النظام الدّاخليّ، وليس مع مجرّد السلوك الفعليّ أو القوليّ الذي يفرضه نسق أو سياق أو موقف طارئ. إذن، تأثير التّشكيل اللسانيّ الحقيقيّ في تغيير النظام التصوّريّ والتّصديقيّ الكامن، إمّا بإضعافه أو تقويته أو تبديله، من أجل إحداث تصديقات نهائيّة مشخّصة تمثّل " براديغم" سلوكيّاً يوافق مصالحَ المشكِّل وقصودَه (استفدتُ هنا من أطروحات غاردنر. ينظر: غاردنر،2014).

إنّ التّشكيل اللسانيّ يتعامل مع اللغة بوصفها أكبر من مجرّد أصوات أو نقوش أو رموز، إنّها خيار التميّز، وآلة السيطرة، ووسيلة الإقناع، وأداة تشكيل العقول. يقول *(Robert Bolton)*: " نحن البشر لدينا خيار غير القتال أو الفرار من أجل البقاء أو إثبات الذات، إنّه الاستخدام الدّقيق والفعّال للغة" (بولتون،2011). وتظهر قيمة هذا الطّرح من تسجيل أثر اللغة في دماغ الإنسان، فقد أظهرت قياسات موجات الدّماغ أنّ الأشخاص أصحاب القدرات اللفظيّة العالية عندما تُقدَّم إليهم بعض الكلمات فإنّ قشرتهم المخيّة

تضيء بالكامل، وهذا يعني أن الكلمات توجد في كلّ مكان في المخّ، والسبب في هذه الإضاءة، هو إدراك هؤلاء النّاس أنّ هذه الكلمات ليست مجرّد كلمات فحسْب، بل هناك وجود موازٍ يرافق كلّ كلمة، يتمثّل هذا الوجود بمحمولات إيحائيّة وخياليّة ولونيّة وإيقاعيّة، إنها تستدعي وجودات تكشف عن أزمنة وأماكن وأحداث، لذلك تتوزّع الإضاءة في قشرة المخّ (بوزان،2007). وهذا يكشف عن قيمة اللغة في تخليق عوالم داخليّة متّصلة بالمواضعة المباشرة، أو عوالم موازية تتّصل بنظام الاستدعاء. وإجرائيّة التّشكيل اللسانيّ تنظر إلى اللغة من هذا المنظور الموسَّع، وبهذا النظر والتنظير تجعل من الكلمات كائناتٍ تحفِز الوجود، وتفرز الطاقات الكامنة في الكلمات، أقصد الكامنة بالفعل التنجيزيّ والكامنة بالقوّة، وهنا نوعان لهذه الطاقات: الطاقة التنجيزيّة، وتتّصل بالمواضعة أو الاستقبال الأوليّ للكلمات، وبها نُنجز المطلوب المتّصل بالمعنى. والطاقة الاستدعائيّة (= الطاقة بالقوّة)، وهي التي تتكفّل باستدعاء وجود موازٍ لا يظهر بمجرّد المواضعة. والتّشكيل اللسانيّ النّاجح يتعامل مع النّوعين في إجرائيّة تنظر إلى اللغة بوصفها وجوداً فوق مجرّد الصوت أو الرمز أو العلامة. وبوصفها نظاماً موسَّعاً فاعلاً، أو بتنظير *(John Austin)* نظاماً يشكّل الحدث الرئيس في إنجاز الفعل (أوستين، 2008).

إنّ دماغ الإنسان مسرح لهذه التصوّرات اللغويّة التي تتصارع للانتظام في سلسلة تصديق ما، وهذه الكلمات المنتظمة تُحدث بمفردها أو بانتظامها أثراً في مساحة استجابة الملتقي، وهذا الأثر لا يقتصر على الوجود الذهنيّ، بل يتعدّى إلى الوجود المتأصّل؛ فيؤثّر في فعل الإنسان الآنيّ، وسلوكه الدائم، وفي إنجازه، وفي طاقاته البدنيّة، وفي ضروب تواصله، وفي معتقداته وأيديولوجياته، لذلك يدعو *(Buzan)* إلى ضرورة فحص الكلمات وتصنيفها وقياس إيجابيّاتها وسلبيّاتها (بوزان،2007). وهذا أصل في التّشكيل اللسانيّ لا معدى عنه. فالكلمة تمثّل وصفاً لذهنية مرسِلها، وتمثّل تشكيلاً موسَّعاً لذهنية المتلقي، فاستخدام كلمات مميّزة في أثرها وتقدير طاقاتها، يقودك إلى التميّز في وظيفة التّشكيل اللسانيّ.(Bloom,1981)

ثمّ أقف في جولة الكشف عن التّشكيل اللسانيّ عند اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، فاللغة المنطوقة تتوافر فيها دلالات وحوافز دلالات ينتقل المعنى بها، هناك فونيمات فوقطعيّة (فوتركيبيّة) تقود المعنى، وهناك سياقات ظرفيّة وأنساق تواصليّة تسند معاني اللغة وتحقّق أثرها. أمّا اللغة المكتوبة فتتّصل بقدرة القارئ على التقاط المعنى من النّقوش، وهذا يحدّ من المحفّزات الموازية التي تتوافر في اللغة المنطوقة، ويصعّب وظيفة المشكِّل اللسانيّ، لأنّه يزيد كلفةَ انتخاب الكلمات القادرة على إحداث الأثر بمجرّد استقبالها، تلك التي تمكّن القارئ من القبض على سياقات متعدّدة ومتباينة (غاردنر،2014). وهذا يعرّض عملية التّشكيل اللسانيّ لخطر الفشل، لذلك تبقى اللغة المنطوقة هي الأجدر أو الأنسب في حيّز عمليّة التّشكيل اللسانيّ، مع تقرير صلوح اللغة عامّة لهذه العمليّة.

والبحث الآنف يُسلمنا إلى النّظر في المُشكِّل عينِه، وقد ظهر أنّه شخص يتّسم بمعرفة لغوية عالية، تؤهله لدرجتي معرفة اللغة والإحساس بها، وهو يدرك مساحات القوّة والضعف في اللغة، ومساحات الرقّة والعنف، ومساحات الوضوح والغموض، إنّه يدرك اللغة بوجودها الأنطولوجيّ المتأصّل وبوجودها الذهنيّ، ويدرك طاقاتها الكامنة بالفعل والكامنة بالقوّة، ويمتلك ذكاء لغويّاً يؤهله لمعرفة مقامات الكلام وسياقاته وأنساقه ومواضع اتّصاله مع النّفس المستقبلة أو انفصاله، ومواطن اتّفاقه مع المحيط الزمكانيّ أو افتراقه. إنّه يملك الخبرة اللغويّة التي تستحيل معها اللغة ملكة حاضرة في نظامه التّواصليّ. يقول *(Gardner)*: وعندما يجتمع مزيج من القدرات اللغويّة في الفرد عينه، فإنّك ترى شخصاً من المحتمل جداً أن ينجح في طرائق واسعة من الأعمال (غاردنر،2014). وهو كذلك يمتلك خبرة كافية في علم النّفس تؤهله لدراسة نفسيّة المستقبل وذهنيّته، وتساعده على تحديد نظامه التفكيريّ، ومساحات الاستجابة في رقعته النفسية، وطرائق التّقبل والتأبّي في سلوكه. فإذا امتلك الشخص هذه السمات والخبرات بكفاية مقبولة، فإنّه يصلح لإجراء عمليّة التّشكيل اللسانيّ.

وبقي في الكشف عن التّشكيل اللسانيّ محاورة سؤال يتعلّق بمسألتي التّشكيل اللسانيّ والحقيقة، والتّشكيل اللسانيّ والكذب. وأقول بأنّ الحكم القيميّ ليس هدفاً لهذه الدراسة، وإن كنتُ أرى أن التّشكيل اللسانيّ يتبع المقاصد في كونه حالة سيئة أو حالة جيدة. فهو تابع للحكم على القصد، واللغة التي يستعملها التّشكيل قد تكون لغة صادقة وقد تكون خادعة، إنّها في النهاية أداة لتحقيق المقصد. كان أوغسطينوس يرى أنّ اللغة وُهبت للنّاس لكي يتقاسموا الأفكار، وكلّ إنسان يستخدم اللغة في الخداع فإنّه إنّما يسيء استعمال اللغة (فاينرش، 2015). وهذا يُقبل بحمل مضمون اللغة على شرط غير لغويّ كالواقع الذهنيّ أو المتأصّل، والذي يبدو لي أن اللغة التي تحكمها أنظمة محرّكة ودلالات حاكمة في حقول المواضعة والإيحاء والسياق، قد تمّ لها شرط الوجود، وهي لا تشترط في وجودها أن تكون في حقول مطابقة الواقع أو الاعتقاد أو أن لا تكون، فاللغة في ذاتها ليس لها شرط أخلاقيّ وجوديّ، بل هي موجودة بتمامها، أو موجودة بنقص، أو غير موجودة. أو موجودة في موضعها أو موجودة في غير موضعها. فسؤالها الكبير سؤال

الوجود وشرط الوجود. ففي تقديري لا يوجد شرط مطابقة للواقع الذهنيّ أو المتأصّل سابقٌ وجودَ اللغة إلا من جهةٍ (خارج لغوية)، فالإنسان يستعمل اللغة ليَظهر، وهذا مراد له، ويستعمل اللغة ليختفيَ، وهذا مراد له، ويستعمل اللغة ليُظهر قصده، ويستعمل اللغة ليُخفي قصده، وليس من شرط اللغة أن تُستعمل في حقول قيميّة أو أخلاقيّة ثابتة، لكنّها ترتبط بحاجة الإنسان ومقاصده، وهي في كلّ ذلك موجودة بشرطها، وهذا هو سؤالها الكبير. ولمثل هذا قال كاطون في حِكَمه: "اللغة تُظهر وتُخفي في الآن نفسه طبيعة الإنسان" (فاينرش، 2015). فالإنسان قد يستعمل اللغة بشرطها الوجوديّ فهو استعمال صحيح، ولكنّه قد يكذب وقد يخدع، وليس من شرط اللغة الذاتيّ أن تُستعمل في غير الكذب والخداع، ولكنّ الكذب والخداع استعمال سيّئ لأي شيء وليس للغة فقط من جهة أخلاقيّة مثلاً.

وإذا أردتُ أن أمثّل ذلك مثالاً كاشفاً، فانظر في قوله تعالى في القرآن الكريم: " إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ"(سورة المنافقون:1). فمقول المنافقين هنا: " نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ" صحيح من حيث شرط اللغة، فهذا استعمال صحيح بشرط اللغة الوجوديّ، لكنّنا لو عرضنا هذا المقول على الواقع لوجدناه يخالف الواقع، لأنّهم في واقعهم الذهني والمتأصّل لا يشهدون بذلك، فالإساءة جاءت من حيثيّة الواقع لا من حيث شرط اللغة الذاتيّ، وليست موافقة الواقع شرطَ اللغة المسبق الوجوديّ، وإنّما هو شرط قبول مضمون الكلام والحكم به أو العمل بمقتضاه أو ما شابه ذلك (هنا كلام مهمّ يراجع في التفتازانيّ، 2013).

لذلك فاللغة الكاذبة أو الخادعة تمثّل إرادة خصّصتها للكذب أو الخداع، وقدرةً أوجدتها أو اكتسبتها لأجل ذلك، وهي كاذبة أو خادعة لأنّها في وجودها تخفي عناصر دالّة، كما ترى اللسانيّات أن الكذب يحصل عندما تكمن وراء الجملة المنطوقة الكاذبة جملة أخرى صادقة غير منطوقة، وهما تتقابلان في علاقة تناقض (فاينرش، 2015). وهذا يحيل على معادل واقعيّ أو ذهنيّ تعبّر عنه جمل موازية تتناقض مع الجمل الفعليّة (= المتأصّلة في عملية البثّ اللغويّ). ولكنّ الأثر الفاعل في مساحة الاستجابة لدى المتلقي سيكون للجمل المتأصّلة في عملية البثّ اللغويّ، وعمل التّشكيل اللسانيّ يرتبط بها، لأنّها ستؤثر في مسارات التّفكير، وستشكّل التّفكير وفقاً لإرادة المشكّل، يقول (كاينز): بقدر ما تفكّر اللغة وتتغنّى، فهي كذلك تكذب في غواية لغويّة، وفكرنا يتبع مسالك اللغة، وكذب اللغة يُجبر فكرَنا على الكذب (فاينرش، 2015). ونحن في التّشكيل اللسانيّ نقول: إنّ فكر المتلقي يتشكّل بآمر اللغة المؤثّرة، فاللغة هنا بوجودها الماثل تُجبر فِكْرَ المتلقي على شكل وجودي مُخطَّط له مسبقاً، وتجبره على السير في مسارات خاصّة تفضي به إلى غاية المُشَكّل. فالتّشكيل اللسانيّ إجرائيّة لغويّة تحدّد مسارات تفكير المتلقي، والحكم عليه من حيث القبول والرفض أمر يتعلّق بسياقات كثيرة تحُفّ به، لكنّها، في أغلبها، خارج بنيته النظاميّة.

أنظمة التّشكيل اللسانيّ

(1)

أقف عند قوانين التّشكيل اللسانيّ وأنظمته، وهذا يمثّل استطلاعاً للأنظمة الحاكمة والمُحدثة لحالة التّشكيل اللسانيّ. ولا شكّ في أنّ التّشكيل اللسانيّ يتعلّق، ابتداءً، بالحالة الذهنيّة للمتلقيّ أو بالنّظام التمثيليّ الذهنيّ للمتلقيّ، والمقصود هنا النّظام الذي يعتمد عليه المتلقي في اكتساب المعرفة، وتشكيل القرارات والمواقف، وتحليل البيانات. ونجاح التّشكيل اللسانيّ يعتمد في الدرجة الأولى على تقدير النظام التمثيليّ للمتلقي، واختيار الكلمات والجمل التي تناسب هذا التمثيل.

فإذا كان نظام المتلقي التمثيليّ بصريّاً، فهذا يعني أنّ حركة نفسه في الاكتساب والتحليل تعتمد على قوّة الخيال الصّوريّة، فهو يعتمد على الصّورة في الاكتساب والتّحليل، فالتّشكيل اللسانيّ الناجح مع هذا المتلقي يجب أن يعتمد على الألفاظ والجمل التي تحرّك قوّة الخيال الصّوري عنده، أي التي تثير عنده التخيّل بالصّورة. وإلا فإنّه سينصرف عن المرسِل أو المشكّل، إمّا انصرافاً حقيقياً بترك الاستماع، أو انصرافاً مقنّعاً بترك الاستجابة والانفعال. كذلك إذا كان نظام المتلقي التمثيليّ سمعيّاً، فإنّما يثير استجابته ما يتعلّق بالمسموعات وذكر التّفاصيل الدّقيقة. وإذا كان نظامه حسيّاً، فإنّه يستجيب لما يُحدثه شعورُه، فهو يركّز على الحالة الشعوريّة أو الانفعاليّة، ويبني قراراتِه على المشاعر(تنظر تفاصيل هذه الأنظمة في الفقي،2008). والتّشكيل اللسانيّ الناجح يعتمد في البداءة على تحليل النّظام التمثيليّ للمتلقيّ، ويضع ثبَتاً من الكلمات والمصطلحات والأساليب اللغويّة التي تناسب هذا النّظام.

ويرتبط هذا بأطروحة (*Gardner*) في الذكاءات المتعدّدة، فأنا أرى أننا يمكن أن نستفيد كثيرا من أطروحاته في التّشكيل اللسانيّ (غاردنر،2014)، فاعتبار نوع الذكاء الماثل في بنية المتلقي يفرض اختيار الألفاظ والكلمات التي تتناسب مع هذا الذكاء، لأنّنا بهذا نضمن حصول الانفعال مع مفاعيل البثّ اللغويّ انفعالاً يمهّد الطريق لنجاح عمليّة التّشكيل اللسانيّ. فالمتلقي الذي يتمتّع بذكاء

لغويّ أو رياضيّ أو مكانيّ أو جسميّ حركيّ أو شخصيّ أو وجوديّ، لا يتفاعل مع الكلمات التي تعسر على طاقته الذهنيّة، أو تخالف خصائص نظامه أو ذكائه. لمثل هذا قال (*Gardner*):كلمّا زاد احتكامك إلى أنواع أكثر من ذكاء الفرد، زاد احتمال أن تغيّر فكر شخص محدَّد، وزاد عدد الأفكار التي تستطيع أن تغيّرها (غاردنر،2014).

وبآمر الأطروحة الآنفة، فإن مراعاة نوع عقل المتلقي، ودرجة التعقيد في هذا العقل من عوامل انتخاب اللغة المناسبة التي من شأنها السيطرة على هذا العقل وإعادة تشكيله. ومن وحي أطروحة (*Gardner*)مرّة أخرى، فلا بدّ من اقتراح نظام لقياس درجة تعقيد عقل المتلقي، فأولئك الذين يتّصفون بعقل منطقيّ لا يعتمد على المخيلة والصورة، أو الشعور والانفعال والعاطفة، يتّصفون بدرجة تعقيد عالية في عقولهم، وأقصد بالتعقيد في التّشكيل اللسانيّ، القدرة العالية على التحليل الرياضيّ المجرّد، وتشغيل الأنظمة الكاشفة في عقولهم. ويمكن أن نقسّم هذه العقول بوحي من (*Gardner*) إلى: العقل المنطقيّ، والعقل اللغويّ، والعقل الخياليّ، والعقل العاطفيّ، والعقل الماورائيّ، والعقل الشِعريّ، ويمكن تقسيم هذه العقول مع خصائصها بحسب درجة التعقيد على هذا النّحو: (والحظ إلى أنّ: (ت+) تعني وجود التعقيد ثم تتصاعد درجة التعقيد بحسب الرقم (ت+1 – ت+2 إلخ) و(ت–) تعني عدم وجود درجة تعقيد).

العقل	خصائصه	درجة التعقيد
العقل المنطقيّ	القدرة على تحليل البيانات، والتعامل مع المجرّدات، وفرز مراتب الحجج	ت+
العقل اللغويّ	القدرة على الإنتاج اللغويّ والتعبير الرفيع، والتأثر بظاهر اللغة وما تحيل عليه	ت+
العقل الخيالي	القدرة على إنتاج صور واقعية أو خياليّة، والانفعال باللغة التي تثير الصور	ت+
العقل الماورائيّ	يهتم بالغيبيات، وينفعل مع اللغة التي تثير الإحساس بالغيب	ت+
العقل الشِعريّ	يطلب الانسجام والانتظام، ويهتم بنظام الظاهرة وانسجامها	ت+
العقل العاطفيّ	الاعتماد على المشاعر، والانفعال مع اللغة التي تثير العاطفة	ت–

ثمّ تتدرّج نسبة التّعقيد في العقل الواحد من متلقٍ إلى آخر. فمثلاً يمكن الوقوف على عقل منطقيّ عند متلقٍ بدرجة واحد (م ت+1)، وعند آخر بدرجة أعلى (م ت+2)، ويمكن الوقوف على عقل لغويّ عند متلقٍ بدرجة واحد (غ ت+1)، وعند آخر بدرجة أعلى (غ ت+2)، وهكذا. وإذا أراد أحد أن يشكّل عقل المتلقي وأنماط تفكيره، فعليه أن يحدّد نوع العقل لديه، ثمّ درجة التعقيد في هذا العقل، ثمّ يختار اللغة المناسبة التي من شأنها أن تتناسب مع هذا العقل ودرجة تعقيده.

ومن هذا المنطلق قسّم المناطقة الحجج إلى أقسام متعدّدة بموجب قوتها على الإنتاج، وأنا أقول: وبدرجة مناسبتها للعقول ودرجة تعقيدها، فهناك عقول منطقية درجة تعقيدها عالية (م ت+) لا تصلح لها إلا اللغة البرهانيّة، وهناك عقول درجة تعقيدها أقل، تصلح لها اللغة الجدليّة المؤلّفة من المشهورات أو المسلّمات، وهناك عقول درجة تعقيدها أقل، تصلح لها اللغة الخطابيّة المؤلفة من المظنونات والمقبولات، وهناك عقول لا يوجد فيها درجة تعقيد (ت–)، تصلح لها اللغة العاطفيّة والشعريّة (للوقوف على رتب الحجج عند المناطقة ينظر: التفتازانيّ، 1912. ولالاند، 2001). فثمة عقول يمكن السيطرة عليها وتشكيلها بالإقناعيات أو الخطابيات، وهناك عقول معقّدة تقف عند البرهانيات. واللغة المعقّدة والمجرّدة ربما تترك أثراً في نجاح التّشكيل عند أصحاب العقول المعقّدة المنطقيّة، وتزيد بزيادة درجة التعقيد، بل ربما حملتهم اللغة المعقّدة التي يُعوزها جهد استقبال وتحليل كبيرين على الشكّ في صحة النماذج الحاضرة (= البراديغمات) في أذهانهم، وهذه الدرجة الأولى في نجاح التّشكيل اللسانيّ. ولكنّ هذه اللغة المعقّدة ستحبط مساعي التّشكيل اللسانيّ إذا كانت نسبة تعقيدها أكبر من نسبة تعقيد العقل الماثل، لأنّها ستغلق مساحة الانفعال بلغة التّشكيل.

ويمكن أن أستعين هنا بمباحث (*Daniel Kahneman*)، فقد افترض أنّ العقل يعمل بنظامين (1) (2)، ولكلّ خصائصه. فالنّظام (1) يعمل آليّاً وبسرعة وبجهد قليل، ولا توجد سيطرة على عمله، فالتّحكم الذاتي في عمله ضعيف أو مفقود. أمّا النّظام (2) فيتعلّق بعمليات العقل العليا، تلك التي يعوزها النّظر والجهد والتّحليل. فالنّظام (1) يتضمّن نموذجاً حاضراً للوجود، وتكون استجابته سريعة وفوريّة، وتحصل بمجرّد حصول تصوّر أوليّ، فهو مصدر الأحكام الحدسيّة السريعة، لذلك فهو مصدر الأخطاء المنهجيّة في الأحكام. لذلك تتمثّل إحدى وظائف النّظام (2) في كبح جماح النّظام (1)، ورفض نزواته في الاستجابة العاجلة، فهو يتولّى السيطرة

على حركة التّفكير في النّظام (1) (Kahneman, 2011). وعليه فاللغة المناسبة للتّشكيل اللسانيّ، تلك التي تثير النّظام (1)، ولا تستدعي تدّخلاً من النّظام (2)، لأنّ النّظام (2) من خصائصه التّحليل والكشف، وهذا لا يناسب عملية السيطرة التي يطمح إليها التّشكيل اللسانيّ. فـ "مرغريت جونييه" بطلة قصة " الضحية" (المنفلوطي، د.ت), امرأة باعت شرفها في سوق الشّقاء لتحيا حياة الرفاهية، لكنّ لغة المنفلوطيّ في ترجمة هذه القصة، جهدت في تعطيل النّظام (2) عند المتلقي، وجهدت في تفعيل النّظام (1)، ليحكم القارئ بأوّل تصوّر بأنّ "مرغريت" كانت ضحية تستأهل الإشفاق والتّحنان، فاللغة هنا أدخلت النّظام (2) في غشية أفقدته السيطرة على النّظام (1)، فحصل التّشكيل اللسانيّ المطلوب. ولولا اللغة المُسيطرة، لتدّخل النّظام (2) بأسئلة سابرة محلّلة تجعل كون "مرغريت" ضحية محلّ تساؤل وتحليل، بل ربما محلّ رفض وإقصاء.

(2)

ولا مَعدى في التّشكيل اللسانيّ عن دراسة الدّلالة بمفهومها الإجرائيّ، بمعنى أنّه يدرس الملفوظيّة (بحسب اللسانيات التّلفّظيّة) أو إجرائيّة إنتاج الملفوظ (= منتج الملفوظيّة). ثم يدرس أثر الاستجابة للملفوظ. والدّلالة إنّما تحصل بتلازم الدّال والمدلول بروابط وضعية ومحدّدات سياقيّة، وهذه المعطيات هي محدّدات مفهوميّة اللغة، وآليات الكشف الدلاليّ. ثمّ إنّ الدلالة اللفظيّة مقسّمة ثلاثة أضرب: دلالة مطابقة، ويكون اللفظ الدالّ بالوضع دالّاً على تمام ما وُضع له. ودلالة تضمّن، ويكون اللفظ الدالّ بالوضع دالّاً على جزء ما وُضع له. ودلالة التزام، ويكون اللفظ الدالّ بالوضع دالّاً على ما يلازمه في الذهن (السيد الشريف، 1983). وهنا يلزم تحديد نوع الدلالة المناسب لإجرائيّة التّشكيل اللسانيّ، فبعض سياقات التّشكيل اللسانيّ تفرض استعمال دلالات تطابقيّة، لأنّ المطلوب تركيز ذهن المتلقي على أجزاء المدلول جميعها. وبعض سياقات التّشكيل اللسانيّ تفرض استعمال دلالات تضمّنية، لأنّ المطلوب تركيز ذهن المتلقي على جزء معيّن من المدلول، وقد نحتاج في التّشكيل اللسانيّ إلى دفع المتلقي للتفكير في مدلولات موازية غير ظاهرة، فنلجأ إلى الدلالات الالتزاميّة.

والمثال المشخّص لذلك، إذا أردنا إحداث تشكيل لسانيّ لعقل المتلقي المُنكر على شخص آخر ذنباً كبيراً وقع فيه، فإنّنا نقول له: إنّه إنسان. فدلالة إنسان في هذا السياق، جعلت المتلقي يركّز ذهنه على لوازمها من اعتبار نقص الإنسان وقابليته للخطأ والتوبة. وحفّزت النّظام التمثيلي (1) لدى المتلقي من خلال صورة تعميميّة، أقنعته بعموم حصول الخطأ من هذا الجنس الذي يُعدّ المتلقي نفسه فرداً من أفراده. وهذه الصورة التعميميّة مع الدلالة الالتزاميّة، أحدثت غشية في النّظام (2)، الذي لو تنبّه لفرض شيئاً آخر، ولقال: إنّ قابليّة الإنسان للخطأ لا تُلزم بترك عقابه مثلاً، أو لقال: إنّ الذين يخطئون مثل هذه الأخطاء لا يصلحون لهذه الوظيفة تحديداً مثلاً... إلخ. فحصل التّشكيل اللسانيّ لعقل المتلقي من خلال اختيار الدّلالة المناسبة التي تضمن غياب الكواشف، وأنظمة السّيطرة في تفكير الإنسان. وقل ذلك في سائر أضرب الدّلالة.

ثمّ أقف عند مسألة وضوح الدلالات في النفس أو خفائها، ومحصّل النّظر أنّ الدلالات التي تستدعي انتقالات ذهنية كثيرة، وتوسّطات ينتقل منها الذهن من معنى إلى معنى آخر، وتكثراً في إجرائيّة التّعقّل الدّلاليّ، تفضي إلى خفاء أكيد في الدلالة (ينظر: الزبن، 2014). فكلّ دلالة تعتمد على انتقال وتوسّط وقرينة، تقلّ فيها نسبة ظهور المعنى عن غيرها، وهذا يعني أنّها تحتاج إلى انتقال ذهني وفكر دلاليّ وجهد تفكّر (مثال ذلك الشرطيّات التي تتركّب من قضايا منفية ينظر: الزبن، 2015، ص318)، وهذه الحالة تترك فيها فجوات قابلة لاستقبال القصود، لذلك فهي الأنسب لعمليّة التّشكيل اللسانيّ، إنّ الدلالات التي فيها نسبة غموض وفجوات يمكن ملؤها بقصود متعدّدة أليق بتحفيز النّظام(1) الذي يناسب عمليّة التّشكيل اللسانيّ، من الدلالات الواضحة الحادّة التي تذهب بالنّفس في مجرى تفكير واضح ومحدّد. فالدلالات الالتزامية العقلية والدلالات المجازية والاستعارية والكنائية والتعريض والمشتركات وغيرها، أليق بعمليّة التّشكيل اللسانيّ من الدلالات الوضعيّة الحقيقيّة المحدّدة التي ترتبط بمدلولها من غير توسّط أو انتقال أو قرائن، لأنّك بهذا تفسح مجالاً لتوجيه تفكير المتلقي تفكيراً دلاليّاً خاصّاً. ومثال ذلك ما جاء في كتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزيّ قال: لمّا هاجر النّبيّ (صلى الله عليه وسلّم) كان يركب وأبو بكر رديفه، وكان أبو بكر يعرف الطّريق لاختلافه إلى الشّام، فكان يمرّ بالقوم فيقولون: من هذا؟ فيقول: هادٍ يهديني (ابن الجوزيّ، 2003). فنسبة وضوح الدلالة في كلمة (هادي) أقلّ بسبب تكثر معانيها، واحتياج التّحديد فيها إلى قرائن، وهذا تركَ فجواتٍ في الدلالة لإحداث التّشكيل اللسانيّ المقصود، من صرف الذهن إلى قصود معيّنة غير الحقيقة مع صحة إطلاق الكلمة في ظاهرها، وهذا النوع من الدلالة أنجح عمليّة التّشكيل اللسانيّ التي أحدثها أبو بكر (رضي الله عنه). وقس على ذلك ظاهرة المجاز والاستعارة في اللغة، لأنّ الدلالة هنا تحصل بقرائن مُنشئة، أي أنّ المعنى يحصُل باجتماع اللفظ والقرينة.

والمجاز بالقرينة يطلب من الذهن دائماً الانتقال من معنى إلى معنى، وإلا انتفت ظاهرة المجاز، وهذا الانتقال هو جهد ذهنيّ يجعل المجاز في سلّم الدلالات الأقلّ ظهوراً من الحقيقة غير المشتركة، لذلك فهو مناسب للتّشكيل اللسانيّ من هذه الجهة. وهو فوق هذا يُحدث أثراً في النّفس من جرّاء استحضار المعنى الظاهر غير المراد، وهذا الأثر يساعد في إحداث الغشية لأنظمة الكشف في تفكير المتلقي (= النظام2). ولا أريد أن أرجع إلى التراث فالكتب طافحة بأمثلة ذلك والمقام يطول، ولكن يمكن التّمثيل بما يُحدثه المعلّقون الرياضيون من ألفاظ وأساليب مجازية واستعارية تُحدث تشكيلاً لسانياً لعقول المتلقّين، فهم يقولون: زلزل شباك الخصم... وأمطر الخصم بالأهداف... إلخ. وهذا العدول اللغويّ بالانتقال الذهنيّ القرائنيّ في الأساليب اللسانيّة يُحدث اضمحلالاً في الدّلالة (الزبن، 2014)، وهذا الاضمحلال يترك فجوات لفرض قصود المُشكّل على عقل المتلقي، وينضاف إلى ذلك الأثر في النّفس الذي يتركه المعنى الظاهر المُنتقل عنه (زلزل+ أمطر)، لأنّ الانتقال بالقرائن عن المعنى الظاهر لا يزيل أثره في النّفس. فيجتمع هنا اضمحلال الدلالة وأثر المعنى الظاهر في النّفس، وهذا يَسمح للنّظام التّمثيلي (1) أن يعمل ويحكم وينفعل في غيبة واضحة للنّظام (2). وبهذا يتمّ للمُشكّل مراده. ويغطي على تحليلات عقلية كان يمكن أن تكون متعلّقة بفريقه الفائز، بنظامه في اللعب، وبقدراته على النجاح القادم، وبتعاونه، وباستحقاقه لهذا الفوز بجدارة، وقيمة الأداء الذي قدّمه الخصم، إلى آخر هذه الأسئلة التي يفرضها النّظام التحليلي (2)، تلك الأسئلة التي ربما تجعل الناظر لا يتحمّس كثيراً لهذا الفوز، ولكنّ الأسلوب اللسانيّ المختار، والمبالغات التي أحدثها هذا الأسلوب أحدثت تشكيلاً لسانيّاً لعقل المتلقي.

وتبرز في إجرائيّة التّشكيل اللسانيّ في مجال الدلالات والملفوظيّة ظاهرةُ التّعريض، فهي أداة لسانية عظيمة الخطر في حدوث التّشكيل، لذلك فلا بدّ من علاج علاقتها بالتّشكيل اللسانيّ. يرى يحيى الطالبيّ أنّ مراتب دلالة اللفظ على ما تدلّ عليه ثلاث: أن يكون المعنى حاصلاً من جهة الملفوظ كالنصّ والظاهر إلخ. وأن يكون حاصلاً من جهة المفهوم كمفهومي الموافقة والمخالفة. وأن يكون من معقول اللفظ كدلالة القياس مثلاً. وأمّا التعريض فليس يُفهم من جهة اللفظ، ولكنّه مدلول عليه بالقرينة (ينظر: الطالبيّ، 1423هـ). فدلالة التّعريض على المعاني ليست حاصلة من جهة الوضع الحقيقيّ أو المجازيّ، بل حاصلة من قبيل التّلويح والإشارة (الكفويّ،1998). فالتّعريض تتكثّر فيه المعاني وتراد جميعها من جهات متكثّرة. وهذا كما ظهر مجال خصب لإحداث التّشكيل اللسانيّ، بسبب اضمحلال الدّلالة. فالتعريض تصديق أو جملة تؤخذ من الإشارة أو القرينة، لذلك فهو أخفى من الكناية (ينظر: ابن الأثير، 1420هـ)، وهذا ما يجعله أداة صالحة للتّشكيل اللسانيّ. وإجرائية التّشكيل اللسانيّ في التّعريض تظهر في براعة اختيار الإشارات التي توجّه عقل المتلقي إلى المعنى المقصود، ولا سيّما أنّ المعاني متكثّرة، والدلالات مضمحلّة خفية، وهذا يسمح للمشكّل أن يخُطّ طريق تفكير المتلقي بآمر الحالة اللسانيّة. إنّها حالة استحضار لكيان لسانيّ موازٍ يشارُ إليه وهو المقصد الذي يراد إقناع المتلقي به. يمكن أن أصف الحالة اللسانية للتّعريض بأنها علاقة مخطط لها بين خط الحضور والغياب في الملفوظيّة التصديقيّة اللسانيّة، تجعل من الظاهر حاضراً بقوّة النصّ اللغويّ، وتجعل من الغائب ماثلاً بقوّة السياق، وفي اجتماعهما يحصُل التّشكيل لعقل المتلقي. فقول مدير المؤسّسة الجديد مثلاً: "سأطوّر المؤسّسة وأتجاوز نقاط الفساد والضعف فيها". يتجاوز البنى الحاضرة في الخطاب ليجعل من علاقات الغياب النّصيّ ماثلةً في الإجرائيّة الملفوظيّة. وهذا الحضور اللسانيّ يقود عقل المتلقي إلى عدّة بنى موازية: كأمانة المدير الجديد، واجتهاده، وسعيه للتطوير، وصعوبة مهمته القادمة، وانهيار المؤسسة في عهد المدير السابق، وفشل المدير السابق أو عدم أمانته... إلخ. وبهذه الاستراتيجيّة اللسانيّة يكون هذا المدير قد شكّل عقل المتلقي لتقبّل هذه المعاني الموازية، أو لتقبّل بعضها على الأقل.

وفي هذا الإطار يحسُن التنّظير للألفاظ التي تمثّل أسواراً كليّة أو جزئيّة (بمصطلح المناطقة)، فهذه الألفاظ تمثّل نظامَ غشية في التّشكيل اللسانيّ، تؤدي، في كثير من السياقات إلى مغالطات في التّفكير. فكلمتا (كلّ) و(بعض) تؤثّران في سير حركة النّفس، وتحبطان عملية التحليل العقليّ، لأنّ كلمة (كلّ) تُشعر بسلطة الكثرة والإجماع، وكلمة (بعض) تُشعر بهذا الشعور أو بشعور ضعف المأخذ والقرار بحسب الاستعمال. لذلك يلجأ التّشكيل اللسانيّ إلى مثل هذه الأسوار في القضايا الملفوظة لتحقيق التّشكيل المطلوب. فهذه العبارات: الكلّ يرى ذلك... الكلّ يشكو من كذا... الكلّ سيعترض على كذا... البعض يوافقك على رأيك... إلخ. لها أثر خطير في توجيه فكر المتلقي، وفي تعطيل أنظمة التّحليل لديه. لذلك فهي في كثير من أطر استعمالها تُعدّ مغالطاتٍ، وتسوق التفكير إلى بنيّات الطريق.

(3)

ومما سلف تتأكّد أهميّة اعتبار الكلام الموازي في التّشكيل اللسانيّ، وأقصد بهذه الاستراتيجيّة أنّ من يجهَد في التشكيل اللسانيّ

لعقل المتلقي يجب أن يختار التّصديقات اللسانيّة التي من طاقاتها أن تثير كلاماً نفسيّاً لدى المتلقي (ينظر الكلام النّفسيّ: الزين،2014)، وهذا الكلام النفسيّ سيقود عقل المتلقي إلى مسارب التّفكير التي يبغيها المّشكِّل، وهو مقصودي بالكلام الموازي. والمُحصّل أنّ الأثر الحاصل في التفكير هو أصالة للكلام النّفسيّ الموازي الذي يمثّل استجابة لمثير الكلام المتأصّل، أو لك أن تقول: إنّ الأثر حاصل بالتوليد (بمصطلح المعتزلة) (التوليد عندهم: هو أن يحصل الفعل عن فاعله بتوسّط فعل آخر، كحركة المفتاح في حركة اليد. السيد الشريف، 1983)، فإنجاز كلام المّشكِّل حاصل بتوسّط فعل الكلام النّفسيّ.

ويجب تقرير أنّ الكلمات والجمل والنّصوص المتأصّلة التي تمثّل مادّة الملفوظيّة (بحسب اللسانيات التلفّظيّة)، تثير أو تستدعي كلمات أخرى في النّفس، وهذا قريب ممّا أطلق عليه *(Kahneman)* أثر الاستباق *(Priming Effect)*، ومحصّله أنّ التّعرض لكلمة قد يتسبّب في موجة من التغييرات الآنية القابلة للقياس، ويحدث من خلال استدعاء موجة من الكلمات المنتمية للموقف (Kahneman ,2011). وأنا أفترض أن هذا لا يحصل في الكلام المتأصّل فقط، بل يحصُل في الكلام النّفسيّ لدى المتلقي، وهذا يشبه خط الحضور والغياب، ولكنّ النّفس هنا تعدّ علاقات الغياب وتكون ماثلة في التفكير الدّاخليّ مستجيبة لمثير علاقات الحضور. وقد مرّ أمثلة ذلك في التعريض وغيره. يقول *(Dale Carnegie)*: لا تبدأ حديثك بمثل هذه العبارات: سأبرهن لك على كذا وكذا. ذلك أمر سيّئ ومعناه النّفسيّ: أنا أذكى منك، وسألقّنكَ درساً يجعلك تغيّر رأيك (Carnegie, 2016). وهذه إشارة إلى الكلام الموازي الذي يتولّد في نفس المتلقي ويوجّه تفكيره. لذلك فدلالة اللغة فقيرة وثرية في آن معاً كما يرى " فاينرش" (فاينرش، 2015). والثراء فيها من حيث ما تثيره من إيحاءات وخبرات، وأقول: هي ثرية بمقدار ما تنشئ تصديقاتٍ لسانيّةً موازية نفسية، في مُكْنتها التأثير في سير التفكير وصياغاته.

ولعلّ هذا الطّرح يفسّر علّة نفور الكثير من اللغة الآمرة؛ إذ إنّها تثير في النّفس كلاماً موازياً عن التّقدير، وهبوط رتبة المأمور، وهذا يشكّل عقل المتلقي على عدائية الآمر، في أغلب الحالات. بخلاف اللغة المُبيحة أو التّشاركية. وقد لحظتُ في بعض تجارب التّشكيل اللسانيّ أن أغلب طلبتي يميلون في الخطاب إلى اللغة التشاركيّة أو المُبيحة، وقد أجريتُ تجرِبة من خلال موقع *(SurveyMonkey)* فوضعتُ بين يدي طلبتي مجموعة مبعثرة من الكلمات تَسمح بإنشاء جملٍ من الأنواع الثلاثة (اللغة الآمرة– اللغة المُبيحة – اللغة التّشاركية) من مثل:(أنْ– تلخّص– يجب– فصل– تلخيص– كتاب– مِن– رأيك– ما– نتعاون– في– لخّص– أحببتَ– يمكن– لو– هذا– الفصل) ثمّ وضعت بين أيديهم جملة مِفتاحية (مطلوب مني تلخيص فصل من كتاب). وطلبتُ منهم تأليف جملة بمحتوى الجملة المفتاحيّة مع حرية حذف كلمات من المقترحات، ولكن بدون اقتراح كلمات جديدة، وهذه الجملة تمثّل ما يحبّون أن يخاطبوا به. وكانت النّسب التقريبيّة لإجابات الطلبة:

اللغة الآمرة	14%
اللغة التّشاركيّة	16%
اللغة المُبيحة	70%

وهذا يجعلني أطمئنّ إلى أنّ أغلب المخاطَبين يرغبون عن استقبال اللغة الآمرة؛ لما بيّنتُه آنفاً من مفاعيل الكيان اللسانيّ الموازي الذي يجب اعتباره كثيراً في عمليّة التّشكيل اللسانيّ.

وبتقرير استراتيجيّة " الكلام اللسانيّ الموازي" يجب فحص كثير من التّصديقات والأساليب اللغويّة في محيط الخطاب؛ بغية تحديد الكيانات اللسانيّة الموازية المحتملة، وفحص أثرها في إنجاح عمليّة التّشكيل اللسانيّ. فنحن أمام عمليّة فرز وفحص واسعة تضع الأساليب اللغويّة في مختبر الكشف عن الكيانات اللسانيّة الموازية، كفحص أسلوب التكرار اللفظيّ أو النّسخيّ (= تكرار التصديق نفسه)، وفحص أسلوب التكرار المضمونيّ (= تغير الألفاظ مع ثبات المعاني). فهذه الجمل التي تتلاحق في كيان لسانيّ متماثل، هل تُحدث تأثيراً واحداً في محيط الكيان اللسانيّ الموازي؟ أم هل تُحدث تأثيراً واحداً بنسخ مكررة بعد تكرار التّصديقات اللسانيّة المتأصّلة الوافدة من خارج رقعة نفس المتلقي؟ أم هل تُحدث تأثيرات شعورية متباينة ومتعدّدة ومتكثّرة من شأنها التّأثير في الكيان اللسانيّ الموازي؟ أسئلة يَشرعها النظر الكشفيّ عن حالة التّشكيل اللسانيّ. يقول *(Albert Mehrabian)*: قد تتابع الجمل عن شيء واحد ومتقارب، ولكن عند التّحليل تحمل كلّ جملة فصلاً مميّزاً في الشعور، أو في إظهار المشاعر (Mehrabian, 1971). وهذا الذي اقترحه *(Mehrabian)* يُقبل قبولاً مبدئياً، لأننا نفترض أنّ التصديقات اللسانية في سياقات متعدّدة تنفي مقولة التكرار المحض، وتُحدث أثراً مبايناً بتدخل عامل السياق. ولكن يبقى الأمر يعوزه فحص تجريبيّ يقرّب فهم الكيان اللسانيّ الموازي الذي

تحدثه علمية التكرار بنوعيها. وقد حاولتُ أن أفحص هذا الأمر فحصاً مبدئياً يُجيب عن شيء من هذه الأسئلة، فقمتُ بوصف ثلاث شخصيات (الأم المهملة بواجبها+ الأخت المضحية بعمرها+ المعلم المخلص في أداء واجبه)، واستعملت في وصف الشخصية الأولى تصديقات من غير تكرار، وفي وصف الشخصية الثانية تصديقات بتكرار لفظيّ، وفي وصف الشخصية الثالثة تصديقات بتكرار مضمونيّ، ثم طلبتُ من طلبتي أن يكتبوا آراءهم بكلّ شخصيّة من خلال موقع (SurveyMonkey)، وجمعتُ الإجابات ووضعتُ معياراً لقياس درجة الانفعال التي تظهرها اللغة المكتوبة، من خلال اعتبار الحقل الدلاليّ للكلمات بين الرّقة والعنف، واستعمال أدوات التوكيد، وطول الجمل، أو قصرها وتتابعها. وكانت النّتيجة أنّ أعلى درجة انفعال تحقّقتْ عند الوصف الذي يحوي تكراراً لفظيّاً (كان اللسانيّون القائلون بفرضية النسبيّة اللغويّة قد أجروا تجارب تستند إلى افتراض تأثير اللغة في فكر المتلقي، ليثبتوا أنّ اللغة تصوغ الفكر والنظرة إلى العالم. وأنا بمثل هذه التجربة لا أبتعد كثيراً عن حقل اشتغالهم). هذا يجعلني أميل إلى اعتبار قوّة التّكرار ولا سيّما اللفظيُّ في إنجاح عمليّة التّشكيل اللسانيّ. وهذا المتّجه يفتح باب الكشف أمام الباحثين للتّفكير بأدوات قياس مناسبة تمكّننا من فحص سائر الأساليب اللغويّة لتحديد دورها في إحداث التّشكيل اللسانيّ، كأساليب التّعليق اللغويّ، والنّداء بضروبه، والتّحذير، والتّعجّب، والقسم... إلخ. ونكون بهذا أمام دراسات تجريبيّة لسانيّة نبني بها استراتيجيات التّشكيل اللسانيّ ببعده العلميّ التجريبيّ.

ونحن نكشفُ عن استراتيجيات الكلام الموازي في التّشكيل اللسانيّ، فلا مَعدى عن أن نقف أيضاً عند استراتيجيّة المفهوم. تجري المفهوميّة في عمليّة البث اللغويّ في حقول ثلاثة، فيما أقدّر، الأول خط الحضور الفعليّ، وهو الماثل في الملفوظيّة مثولاً متأصّلاً بالفعل. وخط الغياب المحض، وهو ما يصلح للمثول بوجهٍ ما، ولكنّه غير مشعور به في عمليّة البثّ اللغويّ. وخط الحضور بالقوّة، وهو الغائب عن الملفوظيّة المتأصّلة، ولكنّه حاضر بالقوّة. وهذا الأخير يمثّل كياناً لسانياً موازياً معتبراً في عمليّة البثّ اللغويّ. ولكنّ غيابه عن رقعة التأصُّل في الملفوظيّة يُعوزه إلى مستندات استحضار، أي قرائن استدعائيّة احترازيّة تجعل حركة النّفس تتّجه إلى اعتباره في عمليّة الاستقبال في البثّ اللغويّ، وهذا هو المفهوم. إذن فالمفهوم كيان لسانيّ موازٍ يمثّل جزءاً من حديث النّفس لدى المتلقي، وهو عنصر مركزيّ من عناصر نمط التفكير لديه. إنّه كما يقول الأصوليون: ما يستفاد من اللفظ وهو مسكوت عنه لا ذِكْر له في قضية التّصريح (الجوينيّ، 1997).

وأنا أرى أنّ كثيراً من اختلال الفهم في عمليّة البثّ اللغويّ بين المرسِل والمتلقي يحصلُ من جراء اختلال قانون المفهوم. لأنّ المفهوم، كما أسلفتُ، تعوزه قوّة استحضار من شأنها أن تجعله حاضراً بالقوّة في كلام المرسِل، وحاضراً بالفعل في الكلام اللسانيّ الموازي لدى المتلقي. فاختلال هذه القوّة يؤدي إلى اختلال في الفهم، والاختلال بالفهم يحصُل بوجهين: إمّا باعتبار المفهوم والصّواب عدم اعتباره، وإمّا بترك اعتباره والصّواب اعتباره. وهذا يُحوج المشكّل إلى ضرورة تفهّم استراتيجيّة المفهوم، لأنّ أثرها بالغ في نتيجة التّشكيل اللسانيّ. والمفهوم يتعلّق بحكم قضية المنطوق، فإذا كان المفهوم موافقاً لحكم هذه القضية فهذا مفهوم موافقة أو فحوى الخطاب، وإذا كان المفهوم مخالفاً لحكم قضية المنطوق فهو مفهوم مخالفة أو دليل الخطاب (العطّار، د.ت).

واستراتيجيّة المفهوم تمثّل الكيان اللسانيّ الموازي الأبرز في عمليّة التّشكيل اللسانيّ، لأنّه حالة الكلام النّفسي المؤثّرة في سير حركة النّفس في تشكيل القناعات لدى المتلقي، وهو قوّة لسانية قادرة على التّشكيل، وحالة استلزام حواريّ (Entailment)، بمصطلح مدوّنة اللسانيات التّداوليّة (للتوسّع:Stalnaker, 2014 PP 157-158 and Xiaohui, 2009)، لا يسوغ إهمالها، فلا بدّ من اعتبار خط الحضور بالقوّة عند تصميم خط الحضور بالفعل في عمليّة البثّ اللغويّ، وهنا تكمن براعة المشكّل اللسانيّ. والذي أراه أن من قوّة المفهوم انتفاء الحكم عمّا عداه (ينظر: الفخر الرازيّ،1997)، ولذلك فهو جزء مركزيّ في مفهوميّة المتلقي، لأنّ عقل المتلقي يعتبر فيه العموم والخصوص، وهذا يمثّل حركة رئيسة في إنتاج المفهوميّة، وفي إنتاج الأحكام والقناعات والمواقف.

عندما صاح " إدريس" في وجه أخيه " أدهم" في رواية أولاد حارتنا (محفوظ،1986): " ملعون البيت الذي لا يطمئنّ فيه إلا الجبناء". فالذي استقبلته نفس أدهم (= معادل للقارئ المتلقي) أنّه جبان مخذول، وأنّ إدريس شجاع لا يرضى بالذلّ. فكلّ من اطمأنّ في مكثه في ذلك البيت فهو جبان. وكلّ من طرد منه فهو مرحوم بشجاعته وقوّته. وهذا، كما ترى، تصديق فيه خط حضور فعليّ، وفيه خط حضور بالقوّة، وكلاهما يشكّل القناعة أو المفهومية في نفس المتلقي. وتجد كذلك في شخصية الروائيّ دوستويفسكي " صوفيا إيفانوفنا" في روايته " الإخوة كارامازوف" التي كانت تعيش الذلّ في بيت المحسنة إليها، وأرادت أن تتحرّر من هذه الحياة المذلّة التي تلبس لبوس الإحسان، فقصدت إلى الزواج من "بافلوفتش"، وصف دوستويفسكي هذه الخطوة العمياء بقوله: "هكذا غادرت الشقية بيت محسنة إلى بيت محسن" (دوستويفسكي، 2010). فخط الحضور بالقوّة هنا يُحدث في المتلقي شعوراً بأنها انتقلت من

سوء إلى سوء، من حيث قدّرت أنها تتخلّص من حياتها الأولى، كما يُحدث قناعة بأنّ الإحسان الذي يُعقب تسلّطاً وإذلالاً مع كونه إحساناً لكنّه تصنيف سيّئ لظاهر مثمر، وباطن مؤلم ومذلّ. وهذا أصعب من العداء الذي لا تغلفه حُجُب الإحسان. وهذا مفهوم خفيّ يحتاج إلى إسناد من السّياق. وبعيداً عن الأدبيّات، فإننا في لغتنا التداوليّة تحكمنا سلطة المفهوم كثيراً، فالمعلم الذي يقول لطلبته بالحضور اللسانيّ الفعليّ: حصل سميرٌ على الدرجة الكاملة. إنّما يقول لهم بحضور لسانيّ حاصل بالقوة: أنتم (غير سمير) لم تحصلوا على درجة كاملة. والمدير الذي يقول لموظفيه بالحضور اللسانيّ الفعليّ: لن أتهاون مع من يهدر قرشاً واحداً. إنّما يقول لهم بحضور لسانيّ حاصل بالقوّة: فكيف بما هو فوق القرش. والمرشّح الذي يكتب هذا الشّعار: " فقراء لكن شرفاء". فهو يُثبّتُ في تفكير المتلقي أن شرفه علّةُ فقره، فمتى ثبتَ في خصمه الثراء، ثبتت علّة خلاف الوصف بالشّرف. وهذا تشكيل لسانيّ بالمفهوم. والأمثلة لذلك كثيرة في محيط التّداول.

وأقف، بفرْض منهجيّ، وأنا أكشف عن الكيان اللسانيّ الموازيّ في عمليّة التّشكيل اللسانيّ، عند الافتراض اللسانيّ المسبق *(Presupposition)* الذي تقترحه اللسانيات التّداوليّة، لأنّه عنصر مركزيّ في الكشف عن أطروحتي في الكيان اللسانيّ الموازيّ. والافتراض المسبق، في أطروحة اللسانيّات التّداوليّة، يتعلّق بالكيان اللسانيّ الموازي الموجود لدى المتكلمين. أي هو الموجود اللسانيّ الذي يسدّ فجوات التخاطبيّة أو المحادثة، ولكنّه موجود بالقوّة، كما في الأطروحة الآنفة (ينظر: يول، 2010). ويكون هذا الافتراض المسبق مَقْسَماً لضروبٍ. نحو: افتراض مسبق معجميّ، أي إنّ الاعتبار حاصل بقوّة الكلمة المعجميّة. كأن تقول: أقلع رياضٌ عن التّدخين. فالافتراض هنا أنّه كان مدخّناً. ونحو: الافتراض المسبق البنيويّ *(Structural Presupposition)*. فالجملة هنا مصدر الجزء المفترض ببنيتها كأن تقول: كم كانت سرعة السيارة عندما وقع الحادث. فالافتراض المسبق: أن الحادث قد وقع، وهو جزء تفرضه الجملة ببنيتها. ونحو: افتراض مسبق غير واقعيّ. وهنا يكون الفرض بما تقوله الجملة مخالفاً للواقع. نحو قولك: حلمتُ أنّني ثريّ. وتخيّلتُ أنني في هاواي. ويتظاهر العاملُ بالمرض. فهذه الجمل تفترض فرضاً غير واقعيّ، وتنبئ مثل هذه الأفعال (تصوّر، تخيّل، تظاهر، حلم) عن عدم واقعية الفرض. ثمّ هناك افتراض مسبق مناقض للواقع *(Counter- Factual Presupposition)*. والمفترض هنا ليس فقط منفياً، ولكنّه يناقض الواقع، هو على درجة التّناقض مع الحقيقة في القضية الحَمْليّة. وأكثر ما تجد هذا في القضايا الشرطيّة المناقضة للواقع. نحو: لو كنتَ صديقي، ما تركتني في أزمتي. فالمفترض هنا أنّك لستَ صديقاً لي (تنظر التفاصيل في: يول، 2010. وهيذر،2003).

وهنا تأتي براعة المشكّل اللسانيّ في استثمار استراتيجيّات الافتراض المسبق، أقصد أنّ المشكّل لا يسعى لتنظير الافتراض المسبق، كما يفعل اللسانيّ الذرائعيّ، ولكنّه يجهَد في تفعيل قوانينه لضمان نجاح عمليّة التّشكيل اللسانيّ. فهو يعتبر حال المتلقي، وطرائقَ إنتاج الافتراض المسبق عنده، لخدمة عمليّة التّشكيل اللسانيّ، وهو أساس ما طرحتُه في استراتيجيّات الكيان اللسانيّ الموازي. وفي الإجرائيّة فهو يقدّر الافتراض المسبق لخطابه بحسب: دلالة ألفاظه وسلطة معجميّتها، ويأتي هنا مثال شعار *(Margaret Thatcher)*في حملتها الانتخابيّة: "بريطانيا قد أضاعت طريقها"(غاردنر، 2014). فالافتراض المسبق هنا الذي تفرضه (أضاعت)، أنّ بريطانيا كانت تعرف طريقها. وهذا من شأنه أن يحدث كياناً لسانياً موازياً، هو صورة تصديق لسانيّ، أو كلام نفسيّ لدى المتلقيّ، يجعله يؤمن بضعف سياسات معيّنة كانت سبباً في تضييع بريطانيا طريقَها، ويؤمن بقدرة *(Thatcher)* السياسية التي من شأنها إنقاذ بريطانيا. وقد يقدّر المشكّل الافتراض المسبق لخطابه بحسب بِنى جمله. وهنا يُطلق المشكّل أسئلة مسيطرة مضلّلة ذكية، من شأنها إحداث افتراض مسبق لصالح التّشكيل. نحو قول الأب لابنته التي رفضت الزواج من رجل يرغب الأب في تزويجه: " إلى متى يا بنيّتي ترفضين الزواج من هؤلاء الأكفياء الذين يتقدّمون إلى خطبتك". فالافتراض المسبق هنا: أنّ من يتقدّم إلى خِطبتها الآن من الأكفياء المناسبين لها. وقد يقدّر المشكّل الافتراض المسبق لخطابه بحسب اعتبار عدم الواقعيّة، ذلك من خلال إيهام المتلقي عدم صحة افتراضه. كقول أب لأبنائه مثلاً: " تتخيّلون أنني لا أضحي من أجل مصلحتكم؟". فالفرض المسبق هنا أنه يضحي من أجل مصلحتهم. وما تفرضه الجملة من أنه لا يضحي يدفعه الواقع. وقد يقدّر المشكّل الافتراض المسبق لخطابه بحسب اعتبار التناقض مع الواقع. وهنا يدفع المشكّل المتلقي إلى اعتقاد تناقض الافتراض مع الواقع. كقول الرجل للمرأة: " لو كنت مخلصةً لي، ما تزوجتِ من غيري". والافتراض المسبق هنا أنّها غير مخلصة.

وهذه الافتراضات المسبقة إنّما تؤدي وظيفتها في حال تفعيل النّظام الإدراكيّ (1)، وغشية النّظام الإدراكيّ (2). لأنّ النّظام الإدراكيّ (2) يحلّل ويسأل ويربط ويركّب، وهذا من شأنّه إصدار حكم على صحة الافتراض المسبق، وعلى صحة ارتباطه بمقدّمات تصديقيّة لسانيّة، وعلى صدق القضية الافتراضيّة بحملها على الواقع الذهنيّ أو المتأصّل. ففي المثال الأول *(Thatcher)* يسأل النظام الإدراكيّ (2) عن صحة ملزوم الافتراض المسبق، فيحتاج إلى دليل على أنّ بريطانيا كانت تعرف طريقها ثم أضاعته. ثمّ

يسأل عن دليل على قدرة *(Thatcher)*، وتمكّنها من إنقاذ الوضع بمجرّد نجاحها في وصفه، بعد التّسليم بصحة الوصف. وفي المثال الثاني يسأل النظام الإدراكيّ (2) عن صحة منطوق البنية التّصديقيّة، فيسأل عن صدق قضية أنّ من يتقدّم لخِطبتها هو من الأكفياء. وربّما ينفي هذه المقدمة فيسقط اعتبار الافتراض المسبق. وفي المثال الثالث يسأل النظام الإدراكيّ (2) عن صحة قضية الافتراض المسبق. فربط نفي الحكم بالإخلاص بالزواج من غيره يحتاج إلى نفي توسّطات كثيرة تستدعي حصول الزواج مع استمرار الحكم بالإخلاص، كالإجبار مثلاً. وهكذا فأنت ترى أنّ الافتراضات المسبقة التي تقترحها مدوّنة اللسانيات التّداوليّة، سيكون لها مدخل كبير في إجرائيّة التّشكيل اللسانيّ، إلا أننّا نربط الافتراض المسبق بمطلق الكلام، أي بالكلام المتأصّل من المنشئ الأول، وبالكلام النّفسيّ من المتلقي.

(4)

وإذا كنّا مقتنعين مع *(Daniel Kahneman)* بثنائيّة الأنظمة الإدراكيّة، فيحسُن ههنا أن نقف عند استراتيجيّات إحداث الغَشية الإدراكيّة بقوّة التّصديقات اللسانيّة، أو قل: عند استراتيجيّات إشغال الأنظمة الإدراكيّة الكاشفة لسانيّاً. فقد سبق أن عرضنا أطروحة *(Daniel Kahneman)* في وجود نظامين للإدراك (1+2)، وقلنا إنّ يقظة النّظام (2) تشكّل خطراً على نجاح التّشكيل اللسانيّ. فعندما يكون النّظام (2) مشغولاً، يتصدّر النّظام (1) لوظائف الإدراك، وهو نظام غير واعٍ ينفعل مع معطيات التّشكيل سريعاً، فكان من وظائف المشكّل اللسانيّ أن يختار اللغة التي تضمن إشغال النّظام (2) ليحقق تشكيلاً لسانيّاً ناجحاً. وهذا أمر قد أثبتته بحوث عالم النّفس(*Daniel Gilbert*).(Kahneman ,2011) والسؤال هنا ما التّصديقات اللسانيّة التي من شأنها إحداث الغشية للنّظام الإدراكيّ (2)؟

إنّ التّصديقات اللسانيّة التي لا تحتاج إلى ضغط إدراكيّ كبير، تسهّل وظيفة التّشكيل اللسانيّ في كثير من سياقات هذا التّشكيل؛ إذ إنّ كثيراً من العقول ليست في درجة تعقيد عالية، ولا تميل إلى التّعامل مع المجرّدات الذهنيّة، ومصفوفات القياس المنطقيّ. يقول *(Daniel Kahneman)*: يتمثّل المبدأ الرئيس في أنّ أي شيء يمكن أن نقوم به للتّقليل من الضغط الإدراكيّ سيكون مفيداً، لذا يجب أنْ تعظّم أولاً من الوضوح وسهولة القراءة (Kahneman, 2011). ولذلك فإنّ الكيانات اللسانيّة التي ترتبط بالعاطفة والإحساس والشّعور، تملك مُكنةً كبيرة على إحداث غشية لأنظمة الإدراك التحليليّ (نظام2)، فتسهل السيطرة على العقول من مسارب العاطفة، ويعسر ذلك من مسارب العقل المجرّد. واللغة التي تتّصل بعاطفة المتلقي وشعوره، وحاجاته النفسية (ينظر: الخصاونة، 2016، ص468)، تُستقبل بأيسر مما تُستقبل به اللغة المنطقيّة، وهذا يقلّل من الضغط الإدراكيّ. يمثّل *(James. K)* هذه الأطروحة مثالاً كاشفاً. يقول: سمسار العقارات الخبير يقول لمالك البيت (= البائع): إنّه يرحّب ببيع منزله. ولا يستعمل هنا كلمة (بيت)، لأنّ في كلمة (بيت) بعْداً عاطفيّاً (قلْب – ذكريات– دفء)، أمّا كلمة منزل فتحيل على بناء وخرسانة وحديد ومساحة وأرض حسْب، لذلك فهو يقول للمشتري: إنّه سيبيعه بيتاً (فلبيت، 2009).

ومن هذا المنطق تجد أنّ اللغة التي تشرك المتلقي في حياة المتحدّث، تحمل أثراً واضحاً في نجاح التّشكيل اللسانيّ، لأنّها تحمل شحنة عاطفية كبيرة، وتضيّق مساحة الحذر التواصليّ اللسانيّ، وتؤثّر في شعور المتلقي، وهذا يهيّئ نفس المتلقي للتقبُّل. فالمتكلم الذي يتحدّث عمّا علّمته الحياةُ، لا يفشل في جذب انتباه المستمع، كما يقول (Carnegie) *(Carnegie,2016)*. وهذه خطوة مركزية في إحداث الغشية الإدراكية المطلوبة.

إذن، أثر التّصديق اللسانيّ في الشعور والعاطفة عظيم في التّشكيل، فهذه التّصديقات تثير انفعالات متباينة حتى لو كان مضمونها الإبلاغيّ واحداً، والسبب هو توسّط العاطفة، وفيض الشعور عند المتلقي. وبهذه الأمثلة ينكشف هذا الطّرح، فنحن بالوجْدان تتعدّد انفعالاتنا عندما نسمع هذه التصديقات اللسانية (استفدتُ بعض الأمثلة من: Kahneman, 2011):

1. لقد نجح 800 طالب من 1000 طالب تقدّموا للثانوية العامة.
لقد رسب 200 طالب من 1000 طالب تقدّموا للثانوية العامة.
2. تبلغ نسبة البقاء على قيد الحياة بعد العملية الجراحية 90%.
تبلغ نسبة احتمال الوفاة بعد العملية الجراحية 10%.
3. شرائح اللحم خالية من الدّهون بنسبة 90%.
شرائح اللحم تحتوي على الدّهون بنسبة 10%.

فأنت ترى أن المضمون واحد، ولكنّ الانفعالات متعدّدة، وهذه الانفعالات العاطفيّة سيعتمد عليها النظام الإدراكيّ (1) في إصدار

أحكامه وقناعاته، حتى لو انطوت على مغالطات، وهذا يتمّ في حال غشية النّظام الإدراكيّ (2)، وهذه الغشية إنّما حصلت بقوّة العاطفة وفيض الشعور، لذلك يحسن بالمشكّل أن يختار التّصديق اللسانيّ الذي يؤثّر في الشعور والعاطفة التأثير المطلوب بحسب القصْد.

كذلك تفعل الكيانات اللسانيّة التي ترتبط بقيم المتلقي الإنسانيّة، وبمعتقداته وثوابت ثقافته. فهذه قوة لسانيّة ناجحة في إحداث الغشية الإدراكيّة، والقيم والمعتقدات تفرض عادة على العقل الباطن ما يرغب الإنسان بتحقيقه (هيذر، 2003). لذلك فالتّشكيل الناجح لا يبدأ بصدام هذه الثوابت والقيم، وإن سعى في تغييرها، بل يتسلل الكيان اللسانيّ بما يشبه الموافقة وعدم التّفاصُل مع هذه القيم والثوابت. وأفضل المشكّلين اللسانيين من يحرصون على أنسنة الكلام كما يريد "Dale Carnegie" (Carnegie, 2016). إنّ أكثر البشر توجّههم حزمات من الترسيب الثقافيّ والفكريّ، تكوّنت في خط نموّهم المعرفيّ والإنسانيّ، واكتُسبت من مصادر شتى. وهذه الترسيبات تمثّل المقولات الكبرى لديهم، ويصعب عليهم التخلي عنها، بل ربما، في كثير من الأحوال، تشكّل حقلاً غير مفكّر فيه، وهذه المقولات ترافقهم في رحلة التمثّل للوجود الواقعيّ والذهنيّ، أو قل: هي في المحصّل الموجّه الكبير للوعي عندهم. ولا شكّ في أنّ اتّصال الكلام بقيم المتلقي يفتح مساحة التّقبل في نفسه، وأنّ صدام هذه القيم يؤدي إلى الشعور بالخطر؛ فيصنف الذهن الكلمات تصنيفاً عدائياً سلبياً، وتغلق أبواب النّفس في وجه القبول والرضى؛ وهذا خطر كبير على عمليّة التّشكيل. فشعور المتلقي بالرضى نتيجة توافق التصديقات اللسانيّة مع قيمه الإنسانيّة، يسهم في إحداث غشية إدراكيّة.

ومن الوسائل اللسانيّة التي تُحدث الغشية الإدراكيّة، استعمال البِنى المتحوّلة، أي تلك البنى اللسانيّة التي تنتمي إلى كيانات لسانيّة في بعُدها العميق "Deep Structure " (يرى *Heather* أنّ استعمال صياغات المبنى للمجهول يدعو إلى السؤال عن الفاعل. هيذر، 2003) لأنّ من شأن هذه البنى اللسانيّة السطحيّة أن تشغل النّظام الإدراكيّ (2) بالبحث عن البنى العميقة من أجل التّحليل الذي يختصّ به. ومن ذلك مثلاً قول بعض مندوبي المبيعات:

هذه البضاعة مرغوبة، وضمانها لشهر كامل. وهنا ينشغل النّظام الإدراكي في البحث عن الفاعل في الرغبة في الموجود اللسانيّ العميق، فيقبل النّظام الإدراكيّ (1) أنها مرغوبة، ولا يجعل مدّة الضّمان في محلّ السؤال. وهو مطلوب المندوب (=المشكّل اللسانيّ).

وفي هذا الإطار يمكن أن نستفيد كثيراً من " أنماط ميلتون اللغويّة" *(Milton Model)*، وهذه الأنماط اللغويّة تهدف إلى إحداث الغشية، فيعمل المتلقي من منطلق اللاشعور، ويتجاوز حالة العقل الواعي، وهذه الحالة تزيد نسبة التقبّل لديه، فيتقبّل المغالطات، وباللجوء إلى العقل الباطن يمكن لهذه اللغة التي يقترحها *(Milton)* أن تتخطّى الاعتراضات المنطقيّة، وأن تتخطّى رقابة النّظام الإدراكيّ (2) في عمليّة التواصل (ينظر: هيذر،2003). وأبرز النماذج التي يقترحها *(Milton)* (استفدتها من: هيذر، 2003):

1. اللغة التي تشعر بقراءة الأفكار، وهذا قريب من اللغة التي افترضنا أنّها تتّصل بواقع المتلقي وقيمه الإنسانيّة. وهذا نحو: أنا أعرف أنك تتساءل في نفسك عن سبب حضوري...
2. غياب المؤدّى، وهذه لغة تحمل أحكام القيمة، وتلغي الإشارة إلى مرجع القيمة كالفاعل مثلاً. نحو: إنّه من الجيد أن تفعل....
3. السبب والنتيجة، هذه اللغة التي تربط سبباً بنتيجة، تحملنا على القبول من غير أن نحلل العلاقة المنطقيّة. نحو تلك الجمل التي فيها: لأنّ... بسبب.. لذا... لذلك... مما.
4. اللغة التي تدلّ على الإمكانية أو الضرورة أو الإلزام، تُحدث غشية، وتشكّل القناعات بقوّة. نحو: تستطيع أن تفعل كذا (إمكانية). لا بدّ أن تتجاوز عن حزنك (إلزام). عليك أن تقبل هذا التحدي (ضرورة).
5. اللغة المجرّدة، وهي لغة ساحرة، وكلمات فخمة تهزّ النّفس، ولكنّها في حقيقتها تتّسم بشيء من الغموض؛ إذ إنّها، في أغلبها، لغة بعيدة عن التّحديد، وأرى أن غموض هذه الكلمات يأتي من إمكان إسقاطها على كثير من المشخّصات؛ إذ إنّها تفتقر إلى التحديد في مجال مرجع الإحالة، مع الحاجة الدائمة إليها في مجال التّواصل. وهذه نحو: التعلّم – البصيرة – الاحترام – العلاقة – الحب – العدل – الاستقلال... إلخ. ومثله ما أسماه (Milton) غياب مرجع الإشارة، ويقصد به عدم تحديد المشار إليه. نحو: إن المرء يرضى بكذا...
6. اللغة المضافة، وهي أسئلة تضاف في آخر التصديق اللسانيّ تهدف إلى نفي الاعتراض. نحو: أنت تشعر أنك مظلوم، أليس كذلك؟
7. غياب طرف المقارنة، وهذه اللغة تُحدث مقارنة ولكنّها لا تفصح عن طرف المقارنة، فأنت لا تعرف المقابل في عملية المقارنة هذه. نحو: هذا التصرف الصحيح، ليس أكثر.

8. اللغة التي تفرض الواقع، وهذه تنطلق من الخبرة أو السياق الماثل، وتُحدث وصفاً بالاتّكاء عليه؛ فلا يستطيع المتلقي نفي هذا الوصف. نحو: أنت تجلس هنا، تتحدث معي، تستمع إليّ...

9. لغة الربط المزدوج، هذه اللغة تُحدث أدلجة للعقل من خلال عرض اختيارات وهميّة. كأن يقول الزوج لزوجته التي تلحّ على زيارة بيت أهلها في هذا اليوم: هل ترغبين في زيارتهم الأسبوع القادم، أو ما رأيك أن نزورهم في نهاية الشهر؟ الحظ أن الزوج يرغب في أن تكون الزيارة في الأسبوع القادم، والزوجة ستختار أن تكون الزيارة في الأسبوع القادم، وقد وقعت ضحية تشكيل لسانيّ باستعمال الربط المزدوج، وخرجت وهي تظنّ أن النتيجة كانت من اختيارها.

10. غموض وظيفة التصوّر اللسانيّ، وهنا أنت أمام لغة لا تستطيع تحديد وظيفة الكلمة من السياق الموجود. نحو: إنهم أقارب يزورون...، يزورون: صفة هي أم فعل؟

11. غموض المجال، هذه لغة يغيب فيها تحديد المطابقة. نحو: الأصوات والأفكار المزعجة. (ما المزعج؟).

وهذه النّماذج دعت *(Bandler and Grinder)* إلى وضع نموذج "ما وراء" *(The Meta-Model for Language)*, (Bandler, 1975). وهو نموذج من الأسئلة يفترض وجود بنية عميقة وبنية سطحية للكلام، وأنّ البنية العميقة تحتوي كمّاً هائلاً من التفاصيل، هذه التفاصيل يسقط منها الكثير في قنوات جريان الكلام من البنية العميقة إلى البنية السطحية المختَزلة، من خلال استراتيجيات الحذف والتعميم والتحريف والنّمذجة... إلخ. ويحاول هذا النموذج بأسئلته إعادة ما سقط من التفاصيل، هذه التفاصيل التي من شأنها نفي حالة الغشية الإدراكية، ومقاومة التّشكيل الذي يحدثه نموذج *(Milton)*، وتعزيز يقيننا بعد التحليل (ينظر: ديكارت، 2001). ويفترض *(Bandler and Grinder)* أنّ الخلل في وصول الرسالة، أو حصول سوء الفهم، يجيء من افتراض أن الخريطة الإدراكية للمتلقي تطابق الخريطة الإدراكية لدينا. وأنا أرى، من وحي هذا النموذج، أن التّشكيل اللسانيّ يجب أن ينبني على تحليل شامل للخريطة الإدراكية المتوقعة لدى المتلقي، ثمّ إنتاج لغة يمكن أن تؤثر في هذه الخريطة، كما أسلفتُ في هذه الأطروحة.

(5)

لا شكّ في أنّ للتّعزيز دوراً بارزاً في إنجاح التّشكيل اللسانيّ، ذلك التّعزيز الذي يمثّل تقنية لتقوية سلوك إنسانيّ معيّن. ويرى علماء السلوك والتربيّة في التعزيز *(Reinforcement)* أنّه: " العملية التي يتمّ بمقتضاها زيادة (تقوية) احتماليّة تكرار قيام الفرد بسلوك أو استجابة معيّنة، عن طريق تقديم معزّز يعقُب ظهور السلوك" (ينظر: حلس. وأبو شقير، د.ت. وزيدان، 1979). والمعزّز عندنا اللغة المؤثّرة التي من شأنها تقوية جانب من التصديق والحفز إليه. وإذا كان الحافز *(Motivation)* عند علماء السلوك قوّة تدفع إلى الإنجاز(Berliner.and Calfee,2004)، فإنّ اللغة تستحيل هنا إلى حافز يدفع النّفس إلى إنجاز التصديق الذي هو غاية التّشكيل اللسانيّ. والإنجاز يحصل بقوّة التعزيز على إحداث الغشية المطلوبة للنظام الإدراكيّ (2)، وفتح مساحات الاستجابة في نفس المتلقي.

ومن المهمّ في استراتيجيّة التعزيز أنّ تُشعر المتلقي بأن الكلام يخصّه، وبأنّه قادر على فهمه بعمق (Carnegie, 2016). فهذا التعزيز يحمل نفس المتلقي على إثبات قدرته على التفهّم، ويشغل منافذ إدراكه عن تحليل محمولات الكلام؛ فيميل إلى الاقتناع به. إنّ التصديقات اللسانية المعزّزة والمحفّزة قادرة على فتح مجال القبول النفسيّ بقوّة، لأنّها تتّصل بإحداث التقدير في النفس، أي تتصل بأعمق مبدأ في الطبيعة الإنسانية بحسب *(William James)*..(Carnegie, How to Win Friends, 2016)

يقول *(Lincoln)*: "كلّ إنسان يحبّ الإطراء والمجاملة" (Carnegie, How to Win Friends, 2016). وهذا لأنّه يُحدث في نفسه التقدير الذي تطلبه هذه النفس. لذلك فهو سيعتني باللغة التي تقدّم له هذا التقدير، وستكون هذه التصديقات اللغوية منتشرة في كواشف النّفس، لأنّها تُحدث لذة من خلال إنتاج التقدير، أي إنّ هذه اللغة سيمتدّ وجودها في النفس، وتركّز عليها الكواشف النفسية، وستدور عليها حركة النّفس المشكّلة للتفكير، بمعنى أنّ هذه اللغة ستصبح غاية من خلال امتدادها في رقعة النفس، ولن تكون مجرّد وعاء أو حامل يلقي ما فيه ويرتحل عن النفس. ولمثل هذا التّحليل تجد كثيراً من الناس يهتمون بالكلمات التقديرية التي توجّه إليهم قبل الاهتمام بمضمون الرسائل الموجّه إليهم، أقصد يهتمون بالكلمات التي تقرّر منزلتهم، وتحدث حالة التقدير المطلوبة. يقول *(Carnegie)*: كاترين العظيمة رفضت فتح الخطابات التي لم تعنون بـ " صاحبة الجلالة الملكيّة" (Carnegie, How to Win Friends, 2016).

وفي إطار الحديث عن التعزيز، يأتي الحديث عن أهمية الاسم، إنّ ذكر الاسم يمثّل حالة تعزيز فعّالة، ولا سيّما إذا كان الذكر من أصحاب الرتب العلمية والاجتماعية والمقاميّة الأعلى. وأنا ألمس هذا في أثناء التعليم، وأحرص على حفظ أسماء طلبتي، فهذا الأمر يُشعر الطالب بأنّه في دائرة اهتمام أستاذه وقريب منه؛ فتشعره هذه اللغة بخصوصية العلاقة والشراكة النّفسيّة، وتحقق له تقديراً

حافزاً، وهذا التقدير يهيّئ النّفس للاستجابة والقبول، والتفاعل الإيجابيّ مع معطيات التشكيل اللسانيّ (ينظر: Wrighton 2011). ولمثل هذا قال *(Cassirer)*: يقال: إنّ الإنسان في الإسكيمو يتكوّن من ثلاثة عناصر: جسد ونفس واسم (كاسيرر،2009).

ولكنّ يجب التنبّه إلى أنّ التصديقات اللسانيّة المرتبطة بالتّعزيز الموقفيّ، تُحدث أثراً سطحياً، ولا سيّما عند تنويع أنماط التّعزيز بحسب تبصّر *(Gardner)* (غاردنر، 2014). وهذا يعني أنّ أثر القوّة اللسانيّة في التّعزيز مرحليّ، وأنّ الغشية التي يُحدثها سريعة الانقضاء، ولكن تبقى قيمة استراتيجيّة التّعزيز في التّشكيل اللسانيّ، في أنّه يحدّد، إشاريّاً، الأحداث المرغوبة التي يَحسُن أن يكررها المتلقي (Sutton, 2017)، لذلك فالمُشكّل ينشئ لغة معزِّزة بقصد فرض أحداث على التفكير. وينجح التّشكيل اللسانيّ في إحداث الغشية المطلوبة للأنظمة الإدراكيّة من خلال التعزيز واقعيّ المبدأ. وأقصد بذلك أن يبدأ التّعزيز من منطلق صفة موجودة بالفعل في المتلقي، ثمّ ينطلق في تعزيز صفات وأحداث يرغب في إحداثها فيه. ومعنى هذا أن يبدأ التّعزيز ممّا يدركه المتلقي عن نفسه، فتكون معرفة المتلقي عن نفسه منطلقاً مبدئياً لاستراتيجية التعزيز اللسانيّ.

ولكن قد تقف أمام المشكّل عقبةٌ تُعيق التعزيز اللسانيّ، كالفشل في حَدَث ما مثلا. وهنا تتضاءل قوّة التّعزيز اللسانيّ ويضعف أثرها، لقوّة الشعور بالفشل، وسيطرة هذا الشعور على رقعة النّفْس. ومثال ذلك: إذا أخطأ الطالب في الإجابة عن سؤال وُجّه إليه. وهنا تتّخذ استراتيجية التعزيز اللسانيّ طريقة التعزيز بالانحراف، أي إنّها تجهَد في دفع النفس للتفكير في مجال آخر غير مجال الفشل، وبهذا تستبعد هذه الاستراتيجيّة المثير المنفّر الماثل في نفس المتلقي (هذا من منطلق ما يسميه علماء النفس والتربية التّعزيز السلبيّ *"Negative Reinforcement"*. ينظر: (Iwata, 1987, P362). ويحسن هنا اختيار حَدَث يمثّل منطلَقاً مبدئياً يصلح للتّعزيز اللسانيّ.

(6)

ويحسُن في هذه الدراسة أن أقف على عناصر سياقيّة تؤثّر في إجرائيّة التّشكيل اللسانيّ تأثيراً مركزيّاً، وإن لم يكن من مقصودي الأصليّ أن أعرض لمسائل وراء اللغة والطاقة اللسانيّة في التّشكيل اللسانيّ، إلا أنّه لا معدى عن اعتبار هذه السياقات، فهي كالمبادي والسّند لإنجاح التّشكيل اللسانيّ.

اعتنى علماء العربيّة قديماً بما أسموه " المقام" أو " الحال"، وعرّفوه بأنّه: " الأمر الداعي إلى التّكلّم على وجه مخصوص" (السيّد الشريف، 1983). فالبحث هنا في الدّاعية التي تفرض بناء الكلام باعتبار خصوصية ما، وهذا مقتضى الحال (التفتازانيّ، 2013). وقد فصّلوا في " المقام" تفصيلاً علميّاً دقيقاً (ينظر: التفتازانيّ، 2013). وحديثاً ظهرت نظريات لسانيّة تُعنى بقيمة السياق في مبدأ التحديد الدلاليّ، أو في إحداث المفهوميّة وتحقيق المعنى. فيرى *(R. Bugrand)* أنّ النّصّ يكون في موقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والعناصر والتوقّعات والمعارف، وهذه البيئة الممتدّة التي تمدّ النصّ بمفهوميته تسمّى سياق الموقف *(Context)*. أمّا البنية والتركيب الدّاخليّ للنصّ فهو سياق البِنية *(Co-Text)*(بوجراند، 1998). وقد اعتنى اللسانيّ الإنجليزيّ *(Firth)* بدور السياق في المفهوميّة، وأكّد التصنيف الاجتماعيّ للبنى اللسانيّة، وقرر ما يسمّى المنهج السياقيّ *(Contextual Approach)* الذي عُرفت به المدرسة اللسانية في لندن. ودعا إلى اعتبار المرتكزات السياقيّة في الكشف عن المعنى، فهو يرى أنّ المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغويّة (عمر، 1998).

ولا شكّ في أنّ التّشكيل اللسانيّ يعتمد على المعنى الذي يستقبله المتلقي، فلا بدّ من اعتبار السياقات التي تؤثّر في هذا المعنى، والتّركيز هنا يكون على ما أسماه *(R. Bugrand)* سياق الموقف *(Context)*، لأنّ سياق البنى الداخلية مرّ في تضاعيف ما قدمتُ آنفاً. فنحن ههنا نتحدث عن سياقات تمثّل قنوات تشكيل المعنى في نفس المتلقي، وتسهم في تشكيل الوعي اللغويّ الداخليّ الذي بدوره يشكّل الخريطة الإدراكيّة في نفسه. السّياق في هذا المجال "دورةٌ من الأحداث"(Van Dijk, 1977) تحُفّ بالكلام وتسند عملية تولّد المعاني. وإذا تقرّر أنّ السياق محدّد من محدّدات المعنى، وكل محدّد نفي كما كان يقول "سبينوزا" (فاينرش، 2015)، فإنّه يَنتج من تعالق هذه المقدمات أنّ السياق ينفي التكثّر والتزاحم في المعاني، لمثل هذا ظهرت دراسات في نظرية انهيار السياق *(Context Collapse)* في وسائل التواصل الاجتماعيّ، وهو تلقي المكتوب من غير اعتبار سياقه، وهذا الانهيار ينهي حالة التحديد، فيسمح بتكثّر الفهوم والمشاركة، ولكنّه يُحدث إرباكاً عظيماً في الفهم، بسبب غياب النفي الحاصل بالتّحديد(Vitak, 2012. P452).

فالمشكّل الناجح يدرس السياق الموقفيّ المؤثّر في استقبال المتلقي، ويقف ابتداء على فهم كاف لتصنيف انفعالات المتلقي. من انفعالات إيجابية (الفرح – الزهو– الأمل– الحنو–إلخ)، أو انفعالات سلبيّة (كآبة– غيرة– إحباط– قلق– خوف– ضيق إلخ) (السّيد، 1975). وهو يعلم جيداً أنواع الخطاب المناسبة في سياق الانفعال، فخطاب المتلقي المحبط يختلف عن خطاب المتفائل المقبل.

فالتصديقات اللسانية التي تخاطب الخائف مثلاً، يجب أن تناسب سياق الخوف الذي يسيطر عليه، لأنّ الخوف ينبئ عن حالة ضعف السيطرة على الذهن، أو حالة فقدان السيطرة على حركة النّفس، لأنّ التحكم بالذهن من شأنه أن يُلجم فيض المشاعر الوجدانية (أسعد، د.ت)، فالخائف سيكون عرضة للتشكيل اللسانيّ نتيجة فقد السيطرة والتحكم، ويحسن هنا اختيار التصديقات اللسانية التي تجعله يطمئنّ إلى القناعة التي يريدها المشكّل، فهو يبحث في نفسه عن الأمان، والتصديقات اللسانية التي تعطيه الأمان ستكون في محلّ قبول منه، ومع تعطّل نظام الإدراك (2)، سينجح التشكيل اللساني في غايته. فإذا أحطنا الفتاة، من باب المثال، الخائفة من العنوسة بتصديقات لسانية تهوّل من خطر العنوسة، وتشعرها بقربها منها، فسيسهل، في أغلب الأحول، تشكيل قناعتها بقصد قبول الزواج من شخص معين. لأنّ هذه التصديقات اللسانية حدّدت رؤيتها إلى طريق الأمان.

ومن السياقات التي تهدّد التّشكيل اللسانيّ بالخطر سياق الجدال، لأنّه يستحيل في نفس المتلقي تحدياً يهدّد تقدير الذات الذي يجهد في تقريره. والجدال يهيّئ النّفس لتكون في وضع الدفاع، ويصنّف المشكّل تصنيفاً سلبياً، ويضعه في جدول المهاجمين، وهذا من شأنه أن يغلق مساحات التّقبل في هذه النفس. وهذا في الحقيقة حكم أغلبيّ يتعلّق بما سلف من درجة تعقيد عقل المتلقي. فالحالة الحوارية في التّشكيل تتوقف، في القليل الذي يتقبّلها، على توصيف عقلية المتلقي، فهناك عقول معقّدة تقبل بالحالة الحوارية المتقوّمة بالمصفوفات المنطقيّة، ويناسبها الانغماس في الحِجاج الرياضيّ. وهناك عقول تتأثّر بالأحاسيس، وهناك عقول تهتمّ بالانسجام بين عناصر الظاهرة، وهناك عقول نظرتها كلية للأشياء، ولا تحفل بتقدير التناقضات. وهناك نفوس تنسجم مع إجرائية تفكير الآخر، وتتابع تسلسلها في درجات الحجج، وهناك عقول تنصرف عن المتابعة، وتهتم بالمحصّل (غاردنر، 2014). وبناء على هذه التقديرات تُصنّف الحالة الحجاجيّة في التّشكيل اللسانيّ. ولكن في المحصّل، تمثّل الحالة الحجاجية والحالة الدفاعيّة خطراً عظيماً على نجاح التّشكيل اللسانيّ، لأنّ الحالة الدّفاعيّة تنفي أيضاً المصداقيّة، وتنهي حالة الاستجابة، وتعطّل إحساس الآخرين بمحمولات التصديقات اللسانيّة (مورناث، 2008). وهذا يُفسد إجراءات التّشكيل اللسانيّ.

الخاتمة

حاولت في هذه الدراسة البيْنيّة أن أكشف عن بعض الأنظمة اللسانيّة التي تُشكّل عقل المتلقي، وتنشئ القناعات، وتوجّه الفكر عنده، واختصرتُ هذه القوى والأنظمة اللسانيّة بعنوان ناظم "التّشكيل اللسانيّ". وانطلقت الدراسة في تسيارها الكشفيّ من مبدأ التصوّر، فقدمتُ تصوّراً لمفهوم "التّشكيل اللسانيّ، ثمّ جهَدتُ في الكشف عن الأنظمة اللسانيّة، والقوى اللغوية التي تُحدث التّشكيل اللسانيّ، ثمّ قدّمت العناصر السياقيّة التي تؤثّر في إجرائيّة التّشكيل. وقد توصّلتُ في بحثي إلى النتائج الآتية:

1. تُعدُّ اللغة أكثر أدوات الإقناع تأثيراً، وأبرز وسائل تشكيل العقول في سياسة التّواصل، لذلك فلا بدّ من دراسة عمليّة تشكيل التفكير دراسة لغوية.
2. استراتيجيّة التشكيل تتعامل مع اللغة بوصفها أكبر من مجرّد أصوات أو نقوش أو رموز، إنّها طاقة محرّكة، ومُكنة لتشكيل العقول، وخيار للتميّز، وأداة للسيطرة.
3. ليس من شرط اللغة الوجوديّ أن تُستعمل في حقول أخلاقيّة أو قيميّة محدّدة، بل ترتبط بحاجة الإنسان الذي يُذعن لواقعه القيميّ أو يخالفه.
4. لغة التّشكيل الناجحة تلك التي ترتبط بنظام المتلقي التمثيليّ، وتنسجم مع خصائصه الإدراكيّة، ومع درجة تعقيد عقله.
5. يرتبط التّشكيل اللسانيّ بتصنيف الدّلالات اللغويّة في سلّم المفهوميّة والوضوح والغموض، ويجهَد في استعمال الدلالات المناسبة لعقلية المتلقي، ولخصائصه الإدراكيّة.
6. لا بدّ في التّشكيل اللسانيّ من اعتبار قوّة الكيان اللسانيّ الموازي، ذلك بتحليل الافتراضات اللسانيّة المُسبقة، والمفاهيم اللغوية المنتجة، واستراتيجيات الأساليب اللغويّة التي يزدوج فيها الوجود اللغويّ بين القوّة والفعل.
7. التصديقات اللسانيّة التي لا تحتاج إلى ضغط إدراكيّ كبير، تدعم إجرائيّة التّشكيل اللسانيّ في كثير من سياقاته.
8. لا بدّ من اعتبار عناصر سياقيّة موقفيّة داعمة للقوى اللسانيّة في عمليّة التّشكيل، ولا مَعدى عن فرزها وتصنيفها في جداول التأثير.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ن. (1420هـ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.

أسعد، ي. (د.ت). سيكولوجيّة الخوف، القاهرة: نهضة مصر.

أوستين، ج. (2008). نظريّة أفعال الكلام العامّة، ط2، تعريب: عبد القادر قينيني، المغرب: أفريقيا الشرق.

بوجراند، ر. (1998). النص والخطاب والإجراء، ط1، ترجمة: تمام حسان، القاهرة: عالم الكتب.

بوزان، ت. (2007). قوة الذكاء الكلاميّ، ط3، المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير.

بولتون، ر. (2011). مهارات النّاس: كيف تتصرّف بحسم، وتنصت للآخرين، وتسوي الخلافات، ط1، المملكة العربية السعوديّة: مكتبة جرير.

التفتازانيّ، م. (1912). متن تهذيب المنطق والكلام، ط1، القاهرة: مطبعة السّعادة.

التّفتازانيّ، م. (2013). المطوّل، ط3، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الجوزيّ، ع. (2003). أخبار الأذكياء، ط1، بعناية: بسام عبد الوهّاب، بيروت: دار ابن حزم.

الجوينيّ، ع. (1997). البرهان في أصول الفقه، ط1، تحقيق: صلاح محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلميّة.

حلس، د. وأبو شقير، م. (د.ت). محاضرات في مهارات التّدريس، نشر المؤلفين.

الخصاونة، إ. (2016)، صورة المرأة في إعلانات التلفزة الأردنية، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، 43، ملحق1، ص468.

دوستويفسكي، ف. (2010). الإخوة كارامازوف، ط1، ترجمة: سامي الدروبي، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

ديكارت، ر. (2001). قواعد لتوجيه الفكر، ترجمة: سفيان سعد الله، تونس: دار سراس للنشر.

الزبن، ع. (2014). التّفكير اللسانيّ عند علماء العقليات المسلمين، ط1، عمان: دار النور المبين.

الزبن، ع. (2015)، دلالة (لو) الامتناعية في بصائر النحاة والعقلانيين، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م42، 2، ص318.

زيدان، م. (1979). معجم المصطلحات النفسية والتربوية، ط1، جدة: دار الشروق.

السيّد الشريف، ع. (1983). التعريفات، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيّد، ف. (1975). الأسس النفسية للنمو، القاهرة: دار الفكر العربي.

الطالبيّ، ي. (1423هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، بيروت: المكتبة العصرية.

العدرة، إ. وأبو عرقوب، إ. (2015)، معوّقات الاتّصال لدى طلبة الجامعة الأردنية من وجهة نظرهم، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، 42، ملحق2، ص1348.

العطّار، ح. (د.ت). حاشية العطّار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، بيروت: دار الكتب العلمية.

عمر، أ. (1998). علم الدلالة، ط5، القاهرة: عالم الكتب.

غاردنر، هـ. (2014). تغيير العقل: الفن والعلم في تغيير عقولنا وعقول الآخرين، ط1، ترجمة: معصومة إبراهيم، بيروت: دار النهضة العربيّة.

فاينرش، هـ. (2015). اللغة والكذب، ط1، تعريب: عبد الرزاق بنور، عمان: دار كنوز المعرفة.

الفخر الرازيّ، م. (1997). المحصول، ط3، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفقي، إ. (2008). البرمجة اللغوية العصبية وفنّ التواصل اللامحدود، القاهرة: إبداع للإعلام والنشر.

فلييت، ج. (2009). قوّة المحادثة، ط4، المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير.

كاسيرر، آ. (2009). اللغة والأسطورة، ط1، ترجمة: سعيد الغانمي، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة.

الكفويّ، أ. (1998). الكليّات، تحقيق: عدنان درويش، بيروت: مؤسسة الرسالة.

لالاند، أ. (2001). موسوعة لالاند الفلسفيّة، ط2، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت– باريس: منشورات عويدات.

محفوظ، ن. (1986). أولاد حارتنا، ط6، بيروت: دار الآداب.

المنفلوطيّ، م. (د.ت). العبرات، بيروت: دار الهدى الوطنيّة.

مورناث، هـ. كاس، لا. (2008). المتحدث الواثق، ط1، المملكة العربيّة السعودية: مكتبة جرير.

هيذر، هـ. (2003). البرمجة اللغوية العصبية في 21 يوماً، ط3، المملكة العربية السعودية: مكتبة جرير.

يول، ج. (2010). التّداوليّة، ط1، ترجمة: قصيّ العتابيّ، بيروت: الدار العربيّة للعلوم.

Al-Sharafi, A. (2012). Dictionary of Debating Terms, Qatar: Bloomsbury Qatar Foundation Publishing.

Bandler, R. Grinder, J. (1975).The Structure of Magic: A Book about Language, And Therapy, Science and Behavior Books, California: Penguin.

Berliner, D. Calfee, R. (2004). Handbook of Educational Psychology, New York: Routledge.

Bloom, A. (1981). The Linguistic Shaping of The Thought, New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates.

Carnegie, D. (2016). The Quick and Easy Way to Effective Speaking, 1st ed, India: Om Books International.

Carnegie, D. (2016). How to Win Friends and Influence People, India: Om Boos International.

Iwata, B. (1987). Negative Reinforcement in Applied Behavior Analysis: An Emerging Technology, Journal of Applied Behavior Analysis, 4, 20, P362.

Kahneman, D. (2011). Thinking Fast and Slow, New York: Farrar Straus and Giroux.

Mehrabian, A. (1971). Silent Messages, California: Wadsworth Publishing Company.

Stalnaker, R. (2014). Context and Content, UK: Oxford University Press.

Sutton, R. Barto, A. (2017). Reinforcement Learning: An Introduction, London: A Bradford Book, Cambridge.

Van Dijk,T, (1977). Text and Context Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse, New York: Longman Group Ltd.

Vitak, J. (2012). The Impact of Context Collapse and Privacy on Social Network Site Disclosures, Journal of Broadcasting & Electronic Media, 56, (4), P452.

Wrighton, T. (2011). Persuade in A Minute, UK: Virgin Books.

Xiaohui X. (2009). Distinction of Entailment and Presupposition, Asian Social Science, Vol 5, No.10, PP 157-158.

Linguistic Formation of Recipient's Intellect: An Interdisciplinary Study in Rules of Contentedness Formulation

Emad Alzabin *

ABSTRACT

This study attempts to investigate language systems that affect the process of recipient's intellectual formulation. It may be considered as an exploratory manipulation (with its mental and rooted reality) that is related to the procedural "HOW" of language mobility. Accordingly, the study is divided into two fields: declarative and procedural. The results reveal that formulation strategy deals with language more than just sounds and signs, it is a given force that enables minds formulate, and an accomplishment tool for human thought system.

Keywords: Linguistic formation; linguistic bilateral product; internal intellectual interaction; linguistic interrelated structure; linguistic presuppositions.

* Department of Arabic Language and Literature, UAE University. Received on 23/2/2018 and Accepted for Publication on 12/9/2018.